أرخبيل لامو خلال القرون الستة الأولى للهجرة
دراسة تاريخية في ضوء الأدلة الأثرية

د. محمد جاب الله على أبو خشيم(*)

- **مُلخص:**

يضم أرخبيل لامو مجموعة من الجزر أما الساحل الشرقي لأفريقيا، ويُعد أحد أهم المعابر التي طرقها الإسلام إلى القارة الأفريقية، ورغم قدم الإسلام في ذلك الأرخبيل إلا أن ما ورد عنه من معلومات في المصادر الإسلامية قليل بالنسبة لحجم الدور الذي أداه سكانه في تاريخ المنطقة على كافة الأصعدة. ومن ثمّ يتناول البحث سكانه وأنشطتهم الاقتصادية، وعلاقاتهم بالمحيط الجغرافي الإقليمي والعالمي من خلال حركة التجارة، ثم النشاط العمراني الذي شهدته تلك الجزر، وما طرأ عليها من مؤثرات خارجية أكدت على الهوية الثقافية الإسلامية لجزر الأرخبيل، وذلك رغم تعدد مشاربها.

الكلمات المفتاحية: جزر، لامو، بات، سواحيلي، شرق أفريقيا

The Lamu Archipelago during the First Six Centuries of Hijirah
Historical Study Based on the Archaeological Evidence

Dr. Muhammad Gaballah Ali Abu Khashaym

- **Abstract:**

The Lamu Archipelago consists of several islands close to the Eastern coast of Africa. This Archipelago has been considered one of the main corridors of the spread of Islam into the African continent. However, little is known so far from the Arabic sources on the extent to which Lamu Archipelago's people have contributed to the region. Based on the archaeological evidences, this paper attempts to unearth the economic and urban life of the Lamu people, their contribution to regional and global trade, and the role of the external influences on the Archipelago's diversity and the growing Islamic identity which benefited from various cultures.

Keywords: Islands, Lamu, Pate, Swahili, East Africa

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الدراسات الأفريقية العليا– جامعة القاهرة

- **مقدمة:**

عرفت لامو كإحدى الجزر المواجهة للساحل الشرقي لأفريقيا، غير أن ما ذكر عنها لا يتناسب مع كونها أضحت عاصمة لأرخبيل مكون من عدة جزر ازدهرت كمراكز حضارية في ذلك الساحل. ورغم هذا الأزدهار ظل تاريخ جزر لامو يكتنفه الكثير من الغموض؛ إذ لم يحظ بدراسة دقيقة وافية تتناول تاريخ الأرخبيل وحضارته.

ومن هنا تأتي **أهمية هذا البحث** الذي يحاول الباحث من خلاله رسم صورة أكثر وضوحًا حول تاريخ أرخبيل لامو، معتمدًا في ذلك على المادة الجديدة التي أظهرتها نتائج الحفائر الأثرية التي أجريت في الأرخبيل، كما يهدف البحث إلى رصد التطور الحضاري في مختلف جوانب الحياة فيه. ولتحقيق ذلك سوف يشمل البحث الجزر الرئيسة في الأرخبيل دون التركيز على إحداها دون الأخرى.

ويتكون أرخبيل لامو من عدد كبير من الجزر، غير أن أهمها هي لامو نفسها، وبات، وماندا، ففي هذه الجزر الثلاث تركز النشاط الإنساني، وهي المناطق الرئيسة التي استقبلت أعدادًا كبيرة من الوافدين من الخارج بهدف الاستقرار الدائم. وقد ركزت أغلب الدراسات التي تناولت تاريخ الساحل الشرقي لأفريقيا على الاستقرار الدائم للمهاجرين، ولاسيما العرب، ولا ينكر الباحث الدور الكبير للعرب في تاريخ شرق أفريقيا ككل، ولكن لا يمكن اختصار تاريخه أيضًا في دور العرب الحضاري، فالمحيط الهندي يعج بكثير من التحركات السكانية والتفاعل بين شواطئه وسكانه، وهو ما نحاول دراسته في هذا البحث.

وأما الفترة الزمنية للبحث، فتبدأ من القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد؛ حيث شهد الأرخبيل أولى الهجرت العربية الإسلامية التي خلفت أقدم الأدلة الأثرية التي عثر عليها في جزر أرخبيل لامو، وينتهي البحث بالقرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد عشر الميلادي الذي شهد أوج الازدهار الحضاري للأرخبيل وفقًا لنتائج الحفائر الأثرية.

وينطلق البحث من سؤال رئيس حول تاريخ أرخبيل لامو ككل، فما مدى اهتمام المصادر العربية بالأرخبيل؟ وهل من مصادر جديدة تساعد في كتابة تاريخه؟ كيف تشكل مجتمع الأرخبيل؟ وهل حقق السكان التماذج والتفاعلمع أختلاف أصولهم؟ وأي

تلك العناصر كانت له الغلبة في التأثير على المجتمع؟ كيف أثر موقع الأرخبيل في أنشطة السكان الاقتصادية؟ كيف استجاب مجتمع الأرخبيل للموثرات الخارجية المادية واللامادية؟

وبداية وجه عدد من الباحثين والآثاريين الغربيين اهتمامهم نحو دراسة تاريخ شرقي أفريقيا، معتمدين في ذلك على المصادر غير التقليدية، فكان العمل الأثري هو السبيل لتحقيق هذا الهدف، وشهد مطلع القرن العشرين جهدًا حثيثًا في هذا المجال، فأجري كل من هاملتون(Hamilton) سنة 1908، وستيجاند(Stigand) 1913 بعض الحفائر في موقع تكوا(Takwa) بجزيرة ماندا(Manda)، كما أجري جيمس كيركمان(James kirkman) سنة 1950 حفائر استكشافية لذات المنطقة في موقع المسجد[1].

واجتذب ثراء المنطقة من الناحية الأثرية جهود عدد كبير من الباحثين، فكان على رأس المهتمين بتاريخ تلك المنطقة كل من نيفيل تشتيك(Neville Chittic) 1965–1969، ووايلدنج(Wilding) 1971–1977 الذي ركز جهوده بشكل كبير على تطور الخزف الساحلي في شانجا؛ حيث اعتبره أحد الوسائل المهمة التي يمكن من خلالها معرفة أوجه التشابه والاختلاف بين المواقع والتجمعات السكنية التي سكنت تلك المواقع[2]، وقام ويلسون(Wilson) سنة 1977 بحفائر أثرية في موقع الميناء في تكوا[3]. ثم تلى ذلك بحفائر في عدة مواقع في الأرخبيل لمدة ثلاث سنوات في الفترة 1978–1980، استكمل بعدها ساسون(Sasson) فأجرى حفائره في عدة مواقع بجزر لامو[4]، وتمثل حفائر هورتون(Horton) 1981–1984 واحدة من أهم الحفائر الأثرية

(1) Wilson, T. H., Spatial analysis and settlement patterns on the East African coast. *Paideuma*, Vol. 28, 1982, p. 203.

(2) Wynne-Jones, S., & Fleisher, J., Fifty years in the archaeology of the eastern African coast: a methodological history. *Azania: Archaeological Research in Africa*, Vol. 50. No.4, 2015, p. 525.

(3) Wilson, T. H., Op., Cit., p. 203.

(4) Donley, L. W., Life in the Swahili town house reveals the symbolic meaning of spaces and artefact assemblages, *African Archaeological Review*, No.5. Vol.1, 1987. Pp.183.

انظر خريطة(1) توضح جانب من جهود الحفائر التي أجريت في جزيرة ماندا من جزر أرخبيل لامو.

في تاريخ المنطقة؛ حيث ركز حفائره في شانجا، واهتم بشكل خاص بجذور الإسلام وبدايات انتشاره في الأرخبيل، واستمرت جهوده البحثية في هذا المجال حتي التسعينيات من القرن العشرين، وغيرهم الكثير من علماء الآثار الغربيين[1].

وعلى هذا النحو وفرت تقارير الحفائر الأثرية التي أجريت في أجزاء واسعة من سواحل شرقي أفريقيا مادة علمية كبيرة أتاحت للباحث مجالاً أرحب في دراسة تاريخ المجتمعات التي قامت على تلك السواحل، ومظاهر حضارتها، وصلاتها الخارجية.

واعتمد الباحث في دراسته لتاريخ أرخبيل لامو على عدد من تقارير تلك الحفائر، ومنها على سبيل المثال Manda-Kenya's earliest town Kenya "ماندا أقدم مدينة في كينيا" لعالم الآثار **نيفيل تشتيك (Neville Chittick)**، وأكد فيه اعتمادًا على الحفائر التي أجراها في عدة مواقع بالجزر على قدم اتصال العرب بالمنطقة بغرض التجارة التي كانوا وسطاء في نقلها من وإلى ساحل شرق فريقيا والجزر المواجهة له.

وتقرير **توماس ويلسون (Thomas Wilson)** عن الحفائر في جزيرة بات بعنوان "Excavation at Bat on the coast of East Africa ."" التنقيب في بات على ساحل شرق إفريقيا" وأفاد الباحث في التعرف على عمران جزيرة بات والتأثيرات التي طرأت على عمرانها عربية كانت أم غير عربية. كما أفاد أيضًا في جانب المقارنة بين الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في بات، وفي غيرها من الجزر، ولا سيما لامو، مما ساعد في بناء تاريخ مترابط لتلك الجزر.

ومن التقارير المهمة التي اعتمد عليها الباحث تقرير **قيصر بيتا (Caesar Bita)** بعنوان" Maritime and underwater archaeological explorations in Kenya "" الاستكشافات الأثرية البحرية وتحت الماء في كينيا"، وكما هو واضح

(1) Wynne-Jones, S., & Fleisher, J., Op., Cit., Pp. 526-528.

وللمزيد حول جهود البحث الأثري في ساحل شرق أفريقيا والجزر المواجهة له انظر:

Lane, P. J., Maritime and shipwreck archaeology in the western Indian Ocean and southern Red Sea: An overview of past and current research, *Journal of Maritime Archaeology*, Vol. 7, 2012, Pp. 9-41.

فالتقرير يتناول الاستكشافات الأثرية تحت الماء قبالة السواحل الكينية، فأفاد الباحث في جانب العلاقات التجارية التي ربطت جزر الأرخبيل بعالم المحيط الهندي؛ إذ عبَّرت اللقى الأثرية عن تنوع كبير في السلع التجارية الواردة إلى المنطقة محل الدراسة. كما أكدت على الدور الكبير الذي لعبته جزر لامو كمركز رئيس لحركة التجارة الخارجية خلال فترة طويلة امتدت وفقًا لتحليل الأدلة الأثرية من القرن الثالث للقرن العاشر الهجريين.

وتقرير آخر للعالم **مارك هورتون(Mark Horton)** تحت عنوان "The Asian Colonization of the East African Coast: Manda's Evidence"" الاستعمار الآسيوي لساحل شرق إفريقيا: دليل ماندا" والذي تناول الاتصال المبكر للآسيويين عامة والعرب خاصة بسواحل شرقي أفريقيا. وكان الفخار والخزف من أهم الأدلة التي أكدت على ذلك. ولكنه أعطى بعدًا آخر للعلاقة التجارية مبنيًا على العملة المعدنية، فأفاد الباحث في معرفة مدى رواج الحركة التجارية لجزر الأرخبيل، بل وخروجها عن حيز المحيط الهندي ووصولها لحوض البحر المتوسط. مما يعد تطورًا كبيرًا سواء على صعيد الصلات التجارية أم على صعيد وسائل التبادل التجاري.

ولمارك هورتون أيضا مقال آخر مهم بعنوان " Primitive Islam and architecture in East Africa" "الإسلام والعمارة البدائية في شرق إفريقيا" الذي تناول فيه التأثيرات الإسلامية المبكرة في عمارة شرق أفريقيا. وقد أفاد الباحث في معرفة التأثيرات الإسلامية الوافدة على شرق أفريقيا، وأكثر المناطق الإسلامية تأثيرًا في المنطقة مقارنة بالتأثيرات الأخري الوافدة من مناطق عدة في عالم المحيط الهندي.

ومن ثمَّ استفاد الباحث من تلك التقارير وغيرها في بحثه، ورصد من خلالها تاريخ وحضارة أرخبيل لامو، ومن خلال المادة التي حصل عليها قسم الموضوع للنقاط التالية:

اولاً- انتشار الإسلام في أرخبيل لامو.

ثانيًا- نظام الحكم في أرخبيل لامو.

ثالثًا– الأنشطة الاقتصادية للسكان في أرخبيل لامو.

رابعًا– عناصر السكان في مجتمع في أرخبيل لامو.

خامسًا– التدرج الطبقي والتفاعل الثقافي في مجتمع أرخبيل لامو.

سادسًا– مظاهر العمران في أرخبيل لامو.

أولًا- انتشار الإسلام في أرخبيل لامو.

ركب العرب مياه المحيط الهندي كغيرهم من الشعوب التي تطل على ذلك المحيط، ووصلوا إلى مختلف السواحل التي تطل عليه، فكانوا هم أكثر الشعوب اتصالاً بتلك الجهات[1]، فأضحت لهم معرفة بالساحل وبجميع جزائره، يفهمون لهجاته، ويألفون سكانه، وصارت لهم مستوطنات تجارية تتردد عليها مراكبهم، كان أقصاها ربطة أو رابتا(Rhapta) التي تقع وفق بعض الآراء[2] بالقرب من لامو أو بات[3]، وكانت مركزًا تجاريًا للعاج وأصداف السلاحف، كما كانت مركزًا لصناعة السفن المخيطة[4].

(1) وهنا يجب أن نفرق بين معرفة العرب بسواحل شرقي أفريقيا، والذي لا يمكن أن نضع له تاريخًا محددًا، وأزدهار حركتهم التجارية معها التي بلغت أوجها منذ النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، ويتضح ذلك جليًا فيما خلفه العرب من عناصر ثقافة مادية وغير مادية بدأت بالدين واللغة، ثم العمارة، فالملابس والنظام الغذائي. انظر: Pawlowicz, M. C., Finding their place in the Swahili world*: An archaeological exploration of southern Tanzania* (Doctoral dissertation, University of Virginia), 2011, Pp.7-8؛ وللمزيد راجع: مجهول: السلوة في أخبار كلوة، تحقيق محمد على الصليبي، وزارة التراث االقومي والثقافة، عُمان، 1985، ص5-9.

(2) ونظرًا لعدم التحديد الدقيق لموقع ربطة، وافتراض أكثر من موقع لها، فالراجح أن هذا الاسم كان يطلق على منطقة بأكملها وليس على مكان بعينه. انظر: Boivin, N., Crowther, A., Helm, R., & Fuller, D. Q., East Africa and Madagascar in the Indian ocean world. *Journal of World Prehistory*, Vol. 26, 2013, p. 243; Pawlowicz, M. C., Op., Cit., p. 408.

(3) حسن صالح شهاب، عجائب الهند لبُزُرك بن شهريار بين الحقيقة والأسطورة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، 2010، ص27، 29.

(4) ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كمال يوسف حسين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 1999، ص26. وهذا الأسلوب في صناعة السفن كان منتشرًا في مختلف سواحل المحيط الهندي من بحر الصين شرقًا إلى سواحل أفريقيا الشرقية غربًا. والراجح أسلوب صناعة السفن هذا تفردت به سفن المحيط الهندي عن غيرها من السفن لإطاله عمرها في مواجهة الصخور والشعاب المرجانية من جانب، والأمواج العاتية في المحيط من جانب أخر. للمزيد من المعلومات راجع: شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية(41-904هـ/661-1498م)، سلسلة عالم المعرفة(151)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص83-89.

وشارك العرب في تجارة المحيط الهندي عدة قوى هي الفرس، والهنود، والصينيين فضلاً عن الأفارقة، ولكن العرب تمكنوا من السيطرة على مقاليد الحركة التجارية بين سواحل المحيط الهندي لفترة زمنية طويلة لظروف حتمتها الطبيعة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية[1]. ومن ثّم كانوا هم الأكثر مشاركة في رقي وتطور ذلك الساحل والجزر المواجهة له[2]. واختلفت علاقة العرب بهذا الساحل عن علاقاتهم بغيره من السواحل التي وصلوا إليها؛ إذ ساعد انتظام هبوب الرياح الموسمية في المحيط الهندي على توثيق العلاقة بين سكان شواطئه، ولا سيما بين العرب وأفريقيا، فقد عرف العرب سر تلك الرياح منذ وقت مبكر واستغلوها في الاتصال بأفريقيا[3]. ولم تقف علاقة العرب بشرقي أفريقيا عند حد التبادل التجاري، بل تبع ذلك الاتصال هجرات كبيرة استقرت استقرارًا كاملاً في ذلك الساحل[4] مدفوعين في ذلك بأسباب شتى لا يتسع المقام هنا لسردها، لكن منها ما هو اقتصادي أو سياسي أو ديني (مذهبي)[5].

ويؤكد على هذا الاستقرار أن بدأ العرب يختلطون تدريجيًا بالسكان المحليين، فتزاوجوا من النساء الأفريقيات دون أن يفقدوا هويتهم لتواصل تيار الهجرة العربية نحو الساحل. ولم يقف المد العربي عند الاختلاط الاجتماعي بسكان الساحل، وإنما شمل سيطرة اقتصادية كبيرة للعرب في الساحل؛ حيث أقاموا عدة مراكز تجارية للاشتغال بتجارة الذهب والرقيق والعاج[6].

(1) شوقي عبد القوي عثمان، المرجع السابق، ص35–37.

(2) محمد قرقش، محمد قرقش، القيمة الحضارية للتراث المادي العُماني في شرق أفريقيا، مجلة تواصل، ع. 1، عُمان، 2005، ص76.

(3) محمد محمود أحمد، علاقة الجزيرة العربية بشرق أفريقيا، مجلة الدارة، الرياض، 1976، مج2. ع2، ص111–113؛ حسن صالح شهاب، مرجع سابق، ص19–20.

(4) وفقًا لما ورد في كتاب الطواف في البحر الإريتري فإن السفن التجارية اليونانية والرومانية عرفت طريقها نحو ساحل شرقي أفريقيا، فوجدوا أن العرب قد عرفوا ذلك الساحل قبل وصولهم بفترة طويلة، وأن لهم سيادة على بعض مناطقه. انظر: Chittick, N., Manda-Kenya's earliest town." *Kenya Past and Present* 16.1, 1984, p. 4.

(5) عبد الرحمن زكي، الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، 1974، ص37.

(6) جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص61.

وأما أرخبيل لامو فكان أول وجود للعرب فيه بعد ظهور الإسلام خلال القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، حيث قصدته عدة هجرات من ساحل عُمان، وتمثل هجرة سعيد وسليمان الجلنديين واحدة من الهجرات العربية المبكرة التي هاجرت من عُمان وارتبط استقرارها في شرق أفريقيا بلامو، إذ بدأت هجرتهم سنة 75هـ/696م، واعقبتها هجرات من نفس المكان حتى عام 85هـ/704م، والشاهد هنا أن هذه الهجرة استقرت في جزيرة بات من أرخبيل لامو، ولم يلبث نفوذها أن امتد حتى جزيرة مافيا(Mafia)[1]، فكانت هذه الهجرة بمثابة أول استقرار عربي كبير في سواحل شرق أفريقيا. وكان لنشاط الدولة الأموية(41–132هـ/662–750م)[2] التوسعي في سواحل البحر الأحمر وشرقي أفريقيا والذي بدأ بمد نفوذها على جزر دهلك سنة 83هـ/702م أثر كبير في اتساع نفوذ العرب في المنطقة[3].

وكان من ثمرة ذلك ظهور لامو كأقدم المناطق التي استقر فيها العرب وأقاموا فيها حكمًا عربيًا إسلاميًا[4]، فيُعد مؤلف ابن سعيد المتوفي عام(685هـ/1286م) من المصادر العربية القليلة التي تحدثت عرضًا عن لامو، فذكرها باسم "ملاي" في معرض حديثه عن جزر القمر، وبخاصة ليرانة التي ذكر أن لامو إلى الشرق منها، ولكن يتضح مما ذكره أن حكام لامو قد فرضوا سيادتهم على عدد كبير من الجزر المحيطة بهم حيث أشار أن أشياخ ليرانة يدارون صاحب لامو[5]. مما يؤكد على رقي

(1) عبد الرحمن حسن محمود، أثر العرب والفرس المسلمين في الحياة السياسية والثقافية والدينية في الساحل الشرقي من القارة الأفريقية خلال القرون الوسطى، رسالة ماجستير، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2002، ص22.

(2) Pouwels, R. L., Oral historiography and the Shirazi of the East African coast." *History in Africa*, Vol. 11, 1984, p. 258.

(3) للمزيد راجع: حسين سيد عبد الله مراد، تاريخ دهلك وحضارتها في القرون الستة الأولى من الهجرة من خلال شواهد القبور، مجلة دراسات أفريقية، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة، عدد خاص،(د.ت)، ص6–9.

(4) عبد الرحمن زكي، مرجع سابق، ص38، 42.

(5) بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958، ص16.

وازدهار أرخبيل لامو بفضل تنامي تيار الهجرة العربية الإسلامية إليها، وإلى غيرها من مدن الساحل الشرقي لأفريقيا[1].

وتدعم الحفائر الأثرية الرواية المصدرية الخاصة بالهجرات العربية ووصول الإسلام مبكرًا إلى الأرخبيل، فباستخدام الكربون المشع تمكن علماء الآثار من وضع تواريخ محددة لبدء انتشار المؤثرات الإسلامية في المنطقة؛ إذ أكدت الأختبارات المعملية أن نسبة 68% من الفخار الإسلامي الذي عُثر عليه يرجع تاريخه للعقد الأخير من القرن الأول الهجري حتي النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وأما النسبة المتبقية فترجع للقرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين[2].

وتبين أن هذه التواريخ تتوافق مع التواريخ المقدرة لبناء المساجد، حيث عُثر على بقايا مسجد يعود تاريخة للقرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد في شانجا(Shanga) في جزيرة لامو، وآخر مشابه ولكنه أكبر في رأس مكومبو(Ras Mkumbu) في جزيرة بيمبا(Pemba) يرجع تاريخه للقرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[3]. مما يؤكد أن الإسلام وصل أولاً إلى لامو، ثم انتقل من نقطة الاستقرار الأولي إلى غيرها من مناطق الساحل الشرقي لأفريقيا.

وتُعد نتائج المكتشفات الخاصة ببقايا الحيوانات زيادة ونقصان عن مدى علاقة العرب والإسلام بالساحل الشرقي لأفريقيا، ففي الوقت الذي أكدت الأدلة الأثرية على

(1) راجع في ذلك ما ورد في المصادر الإسلامية عن ازدهار الساحل الشرقي لأفريقيا، وظهور عدد كبير من المدن التي غلبت عليها مظاهر الحضارة الإسلامية. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، جـ1، ص84-86، جـ2، ص14؛ البكري، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار صادر، بيروت، 2003، جـ1، ص198، 229، 320؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص49، 58-59، 67-69؛ بُزُرك بن شهريار، عجائب الهند بره وبحره وجزائره، مطبعة السعادة، القاهرة، 1908، ص46؛ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة، حيدر أباد، الهند، 1958، ص169؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص33.

(2) Horton, M., Primitive Islam and architecture in East Africa, *Muqarnas*, Vol. 8, 1991, p. 108.

(3) Pawlowicz, M. C., Op., Cit., p. 17.

ندرة وجود آثار للخنازير في الساحل والجزر المواجهة له، ويرجح أن هذه الندرة ارتبطت بحظر الشريعة الإسلامية أكل لحوم الخنزير. وعلى الجانب الآخر وجدت أدلة تؤكد على انتشار الجمال في شانجا وبات وماندا، وذلك رغم غياب الأدلة التي تؤكد شيوع انتشارها في كل منطقة الساحل والجزر، ويؤكد هذا على توطد علاقة العرب بتلك الجزر على وجه خاص، فنقلوا إليها ما ألفوه من الحيوانات في شبه الجزيرة العربية، وأهمها الجمال[1].

وفي ذات الصدد تشير الروايات المحلية الشفوية[2] عن تاريخ المنطقة أن وصول الإسلام إليها كان كان في تلك الفترة، فتذكر هذه الروايات وصول حمزة بن عبد الملك بن مروان إلي ساحل شرقي أفريقيا على المحيط الهندي في عهد والده، وكان ذلك وفقًا لتلك الروايات بهدف نشر الإسلام، وبسط نفوذ الدولة الأموية[3]. وفي رواية أخري أن حمزة[4] هو الذي خرج قاصدًا تلك المنطقة من تلقاء نفسه، وأنه وصل حتى أرخبيل لامو واستقر في منطقة كيوايوا(Kiwayua)[5].

---

(1) Boivin, N., Crowther, A., Helm, R., & Fuller, D. Q., Op., Cit., p. 236.

(2) وتُعد لامو من أهم مناطق الساحل الشرقي لأفريقيا التي لها تاريخ شفاهي، لكنه عبارة عن أحداث متقطعة يقوم عليها القصاصون لنسج تاريخ متماسك الحلقات، كما يحاولون من خلاله إبراز الدور الكبير للمهاجرين العرب في تاريخ لامو. ويلاحظ أن التاريخ الشفاهي هذا يؤكد على ارتباط لامو بالإسلام منذ فترة مبكرة من ظهوره، وأن هذا الارتباط تزايد مع تزايد تيار الهجرة، وكان من بين المهاجرين بعض من يدعون النسب الشريف. ووفقًا لتلك الروايات فإن تأسيس المدن الكبيرة التي أضحت أهم المراكز التجارية في ذلك الساحل مرتبط بهجرة أعداد كبيرة من العرب إليه. انظر: جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص70. انظر أيضًا:

- Martin, B. G., Islam in Lamu-The Sacred Meadows: A Structural Analysis of Religious Symbolism in an East African Town. By Abdul Hamid M. el-Zein. Evanston: Northwestern University Press, 1974. *The Journal of African History*, Vol. 17, No. 3 (1976), Pp. 452-454.

(3) كيركمان، الوجود المبكر لعُمان الإسلامية في شرق أفريقيا، ندوة الدراسات العُمانية، وزارة التراث القومى والثقافة، مسقط، 1980، جـ5، ص40

(4) ولكن تظل هذه مجرد روايات شفهية لا يوجد ما يدعمها في المصادر الإسلامية، وهذه ظاهرة في كل أفريقيا البعيدة عن قلب العالم الإسلامي، ونؤكد أن الانتشار المبكر للإسلام في تلك الجهات والذي تدعمه الأدلة الأثرية مرجعه ليس لزيارة حمزة وإنما إلى الهجرات العربية المبكرة التي قصدت المنطقة.

(5) Ingrams, W. H., Zanzibar It's history and It's people, Frankas and Co. LTD, 1967, p. 74.

وإذا تركنا كل تلك الأدلة حول وصول الإسلام إلى المنطقة فإن الأوضاع السياسية في الدولة الأموية، ومن بعدها في العصر العباسي مثلت دافعًا قويًا لرحيل أعداد كبيرة من سكان شبه الجزيرة العربية[1] والخليج العربي نحو تلك السواحل، ففي أثر التجار والمهاجرين الأوائل اندفعت جماعات من السنة، والشيعة، والخوارج فرارًا من بطش الدولة[2]. وقد نجحت تلك الهجرات تدريجيا في بسط نفوذها على أجزاء من ساحل أفريقيا الشرقي، وكانت لامو هي نقطة الانطلاق الأولى إلى أغلب المناطق التي قصدها المهاجرون[3].

ومنذ أن وطأت أقدام العرب المسلمين أرخبيل لامو لم تنقطع الهجرات العربية عنه، فقصدته أسرة باعلوي وجمل الليل أواخر القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد فاستقروا أولاً في لامو، ثم انتقلوا منها إلى جزر القمر[4]، ثم المهادلة العرب الذين انتقلوا بعدها إلى كلوة التي سيطروا على الحكم فيها منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر للميلادي، وكانت آخر الهجرات العربية الكبيرة التي قصدت أرخبيل لامو هي هجرة بني نبهان في القرن اليابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، والتي كان لها دور كبير في نقل الثقل السياسي للأرخبيل من جزيرة لامو إلى جزيرة بات[5]. وبخلاف تلك الهجرات الكبيرة استمر تيار الهجرة نحو ساحل شرق أفريقيا بلا انقطاع، ولا سيما عرب عُمان وحضرموت واليمن[6].

(1) حياة سيد أحمد عبد الرحيم، مملكة كلوة الإسلامية ودورها السياسي والاجتماعي في شرقي أفريقيا 365-921هـ/975-1515م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، 2011، ص41.

(2) يوسف فضل حسن، بعض مظاهر التواصل الإفريقي، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2006، ع35، ص23.

(3) محمد محمود أحمد، مرجع سابق، ص119.

(4) Martin, B. G., Op., Cit., p. 253.

(5) Guennec, C., L, and Sophie M., Les Swahili: une singularité anthropologique en Afrique de l'Est, *Journal des africanistes*, p. 63; See also Warner, A Swahili history of pate, 1914, 15, 149.

(6) Guennec-C., L, and Sophie M., Op., Cit., p. 65.

وبناءً على ذلك يمكننا القول إن الموقع الجغرافي لشبه جزيرة العرب، وتقدم العرب في فنون الملاحة، سيما أولئك الذين يقطنون السواحل، وتقدمهم كذلك في علم الفلك ومعرفة الاتجاهات اعتمادًا على الشمس والكواكب[1]، فضلاً عن معرفتهم بنظام هبوب الرياح في المحيط الهندي. كل ذلك يؤكد أن العرب هم أول من عرفوا السواحل الشرقية لأفريقيا ومارسوا التجارة مع سكانها[2].

ويبرهن عن وضعية العرب المميزة في جزر لامو أمران، الأول أن العرب كانوا يمثلون قمة الهرم الاجتماعي في لامو، وظلوا على رأسه سياسيًا واقتصاديًا لفترة زمنية طويلة سبقت قدوم العناصر الوافدة الأخرى[3]. وأما الآخر فتعبر عنه الثقافة السواحيلية التي كانت نتاج آلاف السنين من التأثير المتبادل بين السكان المحليين والعناصر الوافدة، ولا سيما من العرب، حتى غدى كل أفريقي أسلم سواحيليًا في مزاوجة واضحة بين السواحلية والعروبة والإسلام، فحُدد القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد كبداية حقيقية لظهور ما عرف بالثقافة السواحلية، كما صُنفت لامو كأحد المراكز الأصلية لنشأتها وانتشارها في كل الساحل والجزر المواجهة له من الصومال شمالاً حتي موزمبيق جنوبًا[4].

ويرى الباحث أن عوامل الطرد والجذب بين مناطق شبه الجزيرة العربية، وسواحل أفريقيا الشرقية كان لها أبعد الأثر في وجهة العرب نحو تلك السواحل والمتاجرة مع سكانها بداية، ثم الاستقرار فيها بشكل دائم بعد ذلك.

ثانيًا– نظام الحكم في أرخبيل لامو.

لم تساعد المصادر الإسلامية المخطوطة والمطبوعة التي تحدثت عن جزر لامو في تحديد ملامح نظام الحكم السائد في تلك الجزر، وقد تفرد ابن سعيد من بين تلك

(1) بُزُرك بن شهريار، مصدر سابق، ص142؛ حسن صالح شهاب، مرجع سابق، ص92، 95.

(2) جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية، ترجمة يوسف كمال، د.ن، القاهرة، 1927 ص24–26.

(3) Curtin, P. R., Generations of strangers: the Kore of Lamu, *The International Journal of African Historical Studies*, Vol.18. No.3, 1985, Pp. 455-472.

(4) Guennec-C. L, and Sophie M., Op., Cit., p. 56, 59-60, p 72.2; Boivin, N., Crowther, A., Helm, R., & Fuller, D. Q., Op., Cit., Pp. 249-250.

المصادر بالإشارة إلى اتساع سيادة صاحب لامو في محيطه الإقليمي، وتبين من العبارة الموجزة التي ذكرها أن أهل ليرانة ينصاعون لملك لامو الذي وصفه "بالملك العظيم"[1]. وأمام صمت المصادر في هذا الجانب كان لابد من النظر في الأدلة الأثرية التي ربما تساعد في هذا الصدد، غير أنها لم تسعف الباحث، فشواهد القبور كان بعضها مجرد حطام وغير واضح المعالم والبعض الآخر يخص الرعية دون الحكام؛ ومن ثمَّ لم تظهر تلك اللقى نظام الحكم السائد في جزر لامو ولا تسلسل الحكام فيها[2].

ورغم ما قدمته المسكوكات من معلومات حول صلات جزر لامو التجارية الواسعة إلا أنها في الوقت نفسه لم تعبر عن نظام الحكم فيها؛ وذلك إما لاعتماد أهل تلك الجزر على العملات التقليدية كالودع بحسب ما ذكر الإدريسي[3]، وإما لاعتمادهم على المسكوكات الواردة إليهم من الخارج والتي كان أقدمها واردًا من اليمن في القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد[4]، أو مسكوكات صينية[5]، بل عُثر كذلك على مسكوكات من حوض البحر الموسط صنفت إلى فاطمية وصقلية[6]. ومن ثمَّ لم تقدم المسكوكات للباحث ما يفيد في التعرف على ملامح نظام الحكم السائد في أرخبيل لامو خلال الفترة الزمنية للبحث[7].

---

(1) ابن سعيد، مصدر سابق، ص16.

(2) Bita, C., Ancient Afro-Asia links. Evidence from a maritime perspective., *Journal of Indian Ocean Archaeology*, Vol. 9, 2013, p. 6

(3) نزهة المشتاق، مصدر سابق ص70

(4) Pawlowicz, M. C., Op., Cit., p. 17.

(5) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص53.

(6) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast: the Manda evidence. *Journal of the Royal Asiatic Society*, Vol.118. No.2, 1986, p. 204.

(7) وعلى هذا النحو تحتاج هذه المسألة المزيد من البحث والإستقصاء، حيث ظهرت بعض المسكوكات التي تحمل الكثير من المعلومات حول نطام الحكم والهوية الثقافية لجزر أرخبيل لامو، وذلك إبان انتقال الثقل السياسي من لامو إلى بات. انظر شكل(1) نماذج من المسكوكات التي عُثر عليها. كما لا تهتم السجلات التي كتبت في فترة بات بتسجيل شييء عن الماضي ما قبل الأسرة النبهانية. انظر: Chande, A., Review "The Pate Chronicle, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 29, No. 3, 1997, Pp. 617.

وإذا طالعنا المصادر الأجنبية المبكرة التي رصدت واقع الساحل السواحيلي سنجد أن كتابها أشاروا إلى حكام المدن باسم "الملوك"، وهذا يعني أنهم قارنوا قوتهم السياسية وسلطتهم بسلطة الحكام الأوروبيين آنذاك. ولكن الأمر كان مختلفًا في لامو عن غيرها من المدن؛ إذ لم يفضل الشعب الحكم المطلق للفرد، وبرغم وجود الملك الذي عرف في لغتهم باسم "بوانا" (Bwana)، إلا أن هذا الملك ساعده في تسيير شؤون الحكم مجلس عرف بمجلس الحكماء، الذي تألف من رؤوس العائلات الكبيرة في الجزيرة[1]، و لا سيما تلك التي تدعي النسب الشريف[2].

وتؤكد هذه الإشارة الرغبة الأوروبية في تفتيت الوحدة السياسية للمنطقة، فتعاملوا مع كل مدينة على أنها دولة قائمة بذاتها، ومن ثمَّ أطلقوا على حكامها لقب الملوك، أما الثابت في تلك الفترة أن الأرخبيل كان قد شهد استقرارًا لنظام الحكم، وذلك مع انتقال الثقل السياسي للأرخبيل منذ مطلع القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى جزيرة بات؛ وهذا ما تبين من الأدلة الأثرية، ولا سيما المسكوكات التي حملت تسلسلًا للحكام يشير إلى نظام سياسي قائم على الحكم الوراثي[3].

ثالثًا- الأنشطة الاقتصادية للسكان في أرخبيل لامو.

تعددت أوجه النشاط الاقتصادي لسكان أرخبيل لامو، إذ لم يقتصر عملهم على النشاط التجاري الذي مثَّل النشاط الرئيس لهم، وذلك بحكم موقع الأرخبيل ضمن نطاق

(1) Hecht, E. D., Harar and Lamu—A Comparison of Two East African Muslim Societies. *TransAfrican Journal of History*, Vol.16, 1987, p.4.

(2) يقصد بالنسب الشريف الإصطفاء على غيره من الأنساب لأداء رسالة كما جاء في قوله تعالى﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: 33] والنسب الشريف هنا هو اصطفاء من المصطفى، هو نسب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشًا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم). ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012، ص34.

(3) حسام فوزي السيد، سلطنة بات النبهانية(911-600هـ/1203-1506م)، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة، 2021، ص28-32.

الطريق التجاري البحري الذي يربط بين ساحل شرقي أفريقيا وسواحل البلدان المطلة على المحيط الهندي. ومن ثَّم برزت مجالات اقتصادية أخري اجتذبت أعدادًا ليست بالقليلة من السكان، فمارس بعضهم الزراعة، ومارس آخرون الصيد[1]. كما مارس البعض حرفًا مرتبطة بالصناعة على نحو ما سنعرض في هذه النقطة.

1- النشاط الزراعي

تًعد الزراعة أحد أهم الأنشطة التي عمل فيها عدد ليس بالقيل من السكان، وتؤكد المصادر على جودة الأراضي في الأرخبيل وممارسة السكان للزراعة، كما أشارت إلى تعدد المحاصيل التي جادت زراعتها في المنطقة، ولكن دون أن تشير إلى نوعية تلك المحاصل[2]. ولكنَّ الدراسات الحديثة تشير إلى أن زراعة الفاكهة كانت تتبوأ المكانة الأولى بين المحاصيل التي أقبل السكان على زراعتها[3].

واستفاد النشاط الزراعي في جزر لامو والساحل الشرقي لأفريقيا ككل من وجود العرب، ولا سيما العُمانيون فائدة كبيرة من وجهتين، الأولى: أنهم ادخلوا أساليب جديدة في تخصيب التربة، واستصلاح الأراضي البور، والسبخات[4]، وأما الثانية: أنهم ادخلوا محاصيل جديدة لم تكن منتشرة في شرقي أفريقيا، أهمها القرنفل، وقصب السكر[5]، والذرة، والبقول، والأرز، وبعض الفواكه خاصة البرتقال[6]. ويحتج البعض على ذلك

---

(1) David R., Muslim societies in African history, Cambridge University Press, 2004, Pp. 34-35.

(2) الإدريسي، مصدر سابق، ص63.

(3) Ghaidan, U., Lamu: A Case Study of the Swahili Town, *The Town Planning Review*, Vol.45. No1, 1974, p. 86, 89.

(4) محمد قرقش، مرجع سابق، ص81.

(5) وبلغ من توسع الأفارقة في زراعة القصب أن أصبح السكر من بين أهم الصادرات الأفريقية إلى دول المحيط الهندي، ولا سيما الصين، وذلك بحسب قوائم الواردات في الموانيء الصينية. انظر.

杨斌《从印度洋归来——泉州湾宋代航路新考》。 《海事历史研究杂志》，第 83 期，第 1 期，2021 年，第 12 页。

(6) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص37. والراجح أن العرب نقلوا زراعة هذه المحاصيل، ولا سيما الأرز من بلاد الهند، إذ درج الهنود على زراعته في بلادهم لأكثر من مرة في العام. انظر: ابن بطوطة،

بأن العرب المذكورين ليسوا بأهل زراعة فهم تجار، فمن أين لهم أن يعرفوا أساليب الزراعة؟ كما أنهم أتوا إلى شرق أفريقيا بهدف التجارة. وهذا الكلام صحيح في مجملة، إلا أنَّ استقرار العرب الدائم في ساحل شرقي أفريقيا وجزره حتم عليهم الاختلاط بالسكان وممارسة الأنشطة التي يمارسها أهل المنطقة.

وأما معرفة العرب بأساليب الزراعة الحديثة آنذاك فقد أفادهم فيه اختلاطهم بشعوب زراعية، ولا سيما في وبعض مناطق بلاد العرب الزراعية، والهند والشرق الأقصى، فنقلوا عنهم تلك النظم، وكذلك بعض المحاصيل التي أدركوا جودة زراعتها من حيث المناخ والتربة في أرخبيل لامو[1]. ولا يقف الأمر عند حد العرب في هذا المجال، وإنما شاركهم في ذلك سكان الشرق الأقصي الذي انتهى بهم المقام في سواحل شرقي أفريقيا وجزائرها، إذ ساهموا في إدخال محاصيل أخري غير التي أدخلها العرب، كان أهمها اليام(نوع من البطاطا)، والمانجو، والتوابل[2].

وكانت لتلك الجهود التي بذلها العرب وغيرهم مردود كبير على النشاط الزراعي في جزر لامو، كما استفاد السكان بإنتاج مزارعهم في تلبية حاجة الأسواق المحلية، إذ دخل الفائض عن حاجة السكان في حركة النشاط التجاري، ولا سيما إلى المناطق القريبة من تلك الجزر في الساحل الأفريقي ذاته، فأنتفع سكان الساحل بما تنتجه جزر أرخبيل لامو من الفاكهة[3]، وبخاصة النارجيل[4] الذي أكد المسعودي أن أكله عم سائر سكان الساحل الشرقي لأفريقيا[5].

رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، جـ2، ص124؛ جـ3، ص97.

(1) محمد قرقش، مرجع سابق، ص81.

(2) ريتشارد هول، مرجع سابق، ص56.

(3) جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، ص31.

(4) النارجيل: هو جوز الهند ويشبه شجر االنخيل، والفارق بينهمما فيما يثمران، فالأولى تثمر جوزًا، والثانية تثمر تمرًا. وكان للنارجيل فوائد أخرى غير كونه من الغذاء، فثمار الجوز مغطاه بألياف تشبه الشعر كانت تستخدم في صناعة الحبال. انظر: ابن بطوطة، مصدر سابق، ص127–128.

(5) مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ1، ص14.

2- الصيد البحري

أتاح موقع لامو وجزرها المختلفة لبعض السكان ممارسة حرفة الصيد البحري(صيد الأسماك)، وكانت منطقة ماتوندوني من أبرز المناطق التي تركزت فيها حرفة صيد الأسماك. وكان نشاط السكان في الصيد أمرًا طبيعيًا لجزر تقع في بيئة بحرية غنية بأنواع مختلفة من الأسماك [1]. وقد ساعد على نمو ونشاط هذه الحرفة لدى السكان وفرة الشعاب المرجانية على سواحل لامو وغيرها من جزر الأرخبيل مما ساعد في دفء المياة وقلة عمقها، ومن ثمَّ توافرت الظروف البيئية الملائمة لتكاثر ونمو وتنوع الثروة السمكية بالمنطقة[2]، وقد دفع هذا جانبًا كبيرًا من السكان للعمل بالصيد.

3- الصناعة

ازدهرت في أرخبيل لامو العديد من الصناعات وتعد صناعة السفن من أهم الصناعات التي برع فيها السكان في أرخبيل لامو، والتي رغم بساطتها إلا أنهم استفادوا فيها من كل مقومات البيئة، فاعتمدوا في صناعتهم هذه على الأخشاب المحلية، ولا سيما المانجروف التي صنعوا منها المراكب الشراعية المعروفة باسم الداو (Dhow)[3]، هذا فضلاً عن أخشاب نخيل الدوم وجوز الهند، كما اعتمدوا على ألياف تلك الأشجار وأوراقها، هذا فضلاً عن الزيوت أو الدهن. كل هذه الموارد ساعدتهم في إنتاج نوع مميز من السفن.

وأضحت تلك الصناعة من الضروريات التي حتمتها البيئة التي عاش فيها السكان، هذا فضلاً عن ممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية، كممارسة الصيد أو النشاط التجاري، ونقل البضائع بين الجزر والساحل أو بين الجزر وبعضها البعض، وأخيرًا استخدمت تلك السفن في نقل السكان بين جزر الأرخبيل، ويشير كل ذلك إلى أن السفن التي صنعوها لم تكن من الحجم الكبير، وقد استرعت تلك الصناعة مع تقدمها

(1) Ghaidan U., Lamu: A Case Study of the Swahili Town, Op., Cit., p. 85.
(2) Boivin, N., Crowther, A., Helm, R., & Fuller, D. Q., Op., Cit., p. 219.
(3) Idha, M., The mangroves of Lamu, history socio-economic and conservation issues Conference, East Africa Wildlife Society, 1998, p. 9.

انتباه المصنفين العرب فأشار إليها الإدريسي فقال: "وينشئون السفن من العيدان الصغار"[1].

وتصف المصادر البرتغالية المبكرة التي كُتبت إبان وصول البرتغاليين إلى شرق أفريقيا هذا النوع من المراكب، وتطلق عليه اسم متيبي(Mtepe)[2]، وتؤكد على أنه نوع من المراكب الشراعية حادة عند المقدمة والمؤخرة مع شكل رأس يشبه رأس الجمل أو البجعة[3]. وتؤكد كذلك على أن هذا النوع من المراكب ينتمي بشكل رئيس إلى لامو والساحل القريب منها[4].

وتدعي بعض الدراسات الحديثة أن المصادر العربية الإسلامية لم تشر إلى هذا النوع من السفن، ولم تفرق بينه وبين غيره من سفن المحيط الهندي، وأن المصادر البرتغالية هي صاحبة السبق في ذلك[5].

وهذا الكلام تدحضه النصوص المصدرية الإسلامية، فالمراكب المخيطة شاع استخدامها في جميع سواحل المحيط الهندي[6]، فقد أشار المسعودي منذ القرن الرابع

---

(1) نزهة المشتاق، ص69.

(2) وهذا النوع من المراكب لا يزال موجود ومستخدم في بعض مناطق المحيط الهندي، ولاسيما في سواحل عُمان ومنطقة الساحل الشرقي لأفريقيا. للمزيد راجع:

- Prins, A. H. J., Mount Lamu, Mombasa, and the Sea of Zanzibar, *Studies in History and Society on the East Coast of Africa*, Vol. 82, 1982. P. 85.

(3) انظر شكل(2) الذي يبين صورة المراكب الشراعية التي صنعت في لامو والساحل القريب منها.

(4) Prins, A. H. J., Op., Cit., p. 89, 99.

(5) Ibid, p. 89.

(6) حسن صالح شهاب، مرجع سابق، ص119. ويظهر التاريخ الشفاهي للمنطقة السبب وراء انتشار هذا النوع من المراكب في المحيط الهندي، ويتلخص في أسطورة "**الجبل المغناطيسي**"، والتي تقول إن السفن المصنعة باستخدام المسامير سيكون مصيرها الغرق عندما تمر بالقرب من هذا الجبل الذي سيجذب كل قطع المعدن في السفينة مما سيؤدي لتفكك ألواحهاعن بعضها البعض، وهذه القصة ذكر الإدريسي قصة تشبهها لجبل سماه عجرد يجتذب إليه ما يقربه من السفن. نزهة المشتاق، ص60. وبخلاف هذا الجبل الذي عرَّفه ابن سعيد باسم الخراني كانت هناك جبال آخري يخشاها المسافرون نحو الساحل الشرقي لأفريقيا، منها جبل اسماه جبل الندامة، وآخر اسماه جبل خافوني. انظر: بسط الأرض في الطول والعرض، ص14، 17.

للهجرة/العاشر للميلاد إلى المراكب المخيطة–التي استخدم الخيط عوضًا عن المسامير في جمع الواحها– في سواحل أفريقيا الشرقية[1]. وأكد الإدريسي في القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد ما ذهب إليه المسعودي، كما أضاف أن المخاطر التي تتعرض لها السفن المسمرة عند مرورها بالقرب من باب المندب والجزر المجاورة له كانت سببًا في استخدام الخياطة عوضًا عن التسمير في صناعة تلك السفن[2].

تُعد جزيرة فازا(Faza) إلى الشمال من لامو هي المنطقة الرئيسة لصناعة مراكب المتيبي، وإلى جانبها ظهرت عدة مراكز أخرى لصناعتها كان أهمها: مدن تيكوني(Tikuni)، وسيو(Sui)، وماجونياني(Maguniani). والمراكب التي صنعت في تلك المدن نوعان عرف أولهما باسم الدو متيبي، وهو يشبه إلى حد كبير المراكب العربية المعروفة باسم "الدوا"[3]، وتخصصت في إنتاج هذا النوع مدينة ماجونياني بالقرب من لامو. وأما النوع الآخر فهو مراكب المتيبي ويشمل جميع أنواع المراكب المخيطة. ظهر إلى جانبهما نوع ثالث كان يصنع بشكل رئيس في جزيرة بات، وعرف باسم شيمني(Chemni)[4]، وهذا فضلاً عن الدوانيج[1].

ولكنّ الحقيقة في انتشار هذا النوع من المراكب في المحيط الهندي هو توافر المواد الخام اللازمة لإصلاح هذه المراكب وصيانتها عند تنقلها بين موانىء المحيط الهندي. راجع: ريتشارد هول، مرجع سابق، ص26. واعتبر ماركوبولو عدم استخدام المسامير في تجميع أجزاء السفن التي تصنع في المحيط الهندي كما في الغرب خطرًا كبيرًا على الملاحة والملاحين والتجار، ولذا وصف سفن المحيط الهندي بأنها أردأ أنواع السفن. انظر: ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، جـ1، ص81.

(1) مروج الذهب، جـ1، ص127.

(2) نزهة المشتاق، ص60.

(3) مراكب الدوا(Dhow) كانت منطقة كوشين بساحل الملبار هي المركز الرئيس لصناعتها، والمركب تشبه الغراب في شكلها، وأبعادها 11x20x85 قدم، والمركب بصارية واحدة، وتبلغ حمولتها ما بين مائة وخمسين إلى مائتين طن. وارتبطت هذه المركب بالعرب الذين ادخلوا عليها بعض التعديلات، فجعلوا لها صاريتن بدلاً من واحدة لتناسب المهام الجديدة التي استخدمت فيها؛ إذ لم تعد مركب للتجارة فحسب، وإنما قاموا بتسليحها لتقوم بمهام الحراسة والتفتيش في الخليج والبحر الأحمر. راجع: شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص102–103.

(4) Prins, A. H. J., Op., Cit., Pp. 89-90.

ووفقًا للمصادر الإسلامية وجدت بعض الصناعات التكميلية التي ساعدت في صناعة ذلك النوع من السفن، إذ نشط سكان لامو والجزر المجاورة لها في صناعة الخيوط اللازمة لتجميع الواح السفن وشدها إلى بعضها البعض. واستخدم في صناعة الخيوط والحبال ألياف بعض الأشجار[2]. وقد تطلب استخدامها للخياطة صناعة بعض الأدهان[3] توضع فيها تلك الألياف لتصبح أكثر ليونة، وتسهل بعدها عملية استخدامها كخيوط في خياطة السفن أو في غيرها من المجالات التي تتطلب الخياطة[4]. وتنتج عن عملية الخياطة الكثير من الفراغات، ولذا درج حرفيو صناعة المراكب على استخدام ألياف شجر جوز الهند المنقوع في زيت السمك واللبان لسد تلك الفراغات، كما استخدموا كذلك شرائح من أوراق نخيل الدوم وقشور جوز الهند في تغطية أرضية مراكبهم من الداخل[5].

ووفقًا لشهادات بعض البرتغاليين الذين وصلوا إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، والمبنية في الوقت نفسه على الروايات الشفوية، فإن عمر تلك المراكب يرجع لنحو أربعمائة عام قبل وصولهم إلى هناك. وتلك المراكب رغم بساطتها إلا أنها يمكن أن تبحر ليومين أو ثلاثة أيام متواصلة، ولا تبحر لأكثر من ذلك في المرة الواحدة. كما أن عمرها يصل لنحو أربع سنوات بشرط صيانتها كل عام، وأهم ما يميز تلك المراكب عن

---

(1) الدونيج وجمعها دوانيج هي مراكب صغيرة كانت تستخدم في الوصول من الساحل إلى المراكب الكبيرة التي تعيقها الشعاب المرجانية والصخور من الوصول إلى الساحل لعمق غاطسها، فاستخدمت الدوانيج في شحن تلك المراكب أو تفريغها ونقل ركابها. انظر: شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص104.

(2) ابن بطوطة، مصدر سابق، جـ2، ص127–128. وكان أشهرها عند أهل جزائر المحيط الهندي ما عرف باسم (ديوة كَنَبار) الغزل المفتول من ليف النارجيل الذي كان يستخدم لغرز المراكب. انظر: البيروني، تحقيق ما للهند، ص169.

(3) وكانت الأدهان تصنع من السمن أو الخروع أو السمك(القرش)، وهو أفضلها، ولم يقتصر استخدام الدهن على تليين الألياف لصناعة الخيوط، بل كانت تدهن به المراكب ككل لتليين الخشب نفسه حتي يتحمل صدمات الشعاب المرجانية والأمواج العاتية. انظر: شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص100.

(4) المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان الغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص62.

(5) Prins, A. H. J., Op., Cit., p. 91, 94.

غيرها هو قدرتها عن غيرها من سفن المحيط الهندي على الإبحار على مسافة قريبة من الساحل وفي الممرات الضيقة[1].

وظهرت في الأرخبيل بعض الصناعات والحرف التي قامت بالأساس على الإنتاج الزراعي، والتي يمكننا من خلالها أن نتعرف على ملامح الإنتاج الزراعي ذاته. وكان من أهم تلك الصناعات النسيج[2]، مما يؤكد أن السكان زرعوا مساحات من أراضيهم بالمحاصيل اللازمة لهذه الصناعة مثل القطن والكتان. وكان التوسع في زراعة هذه المحاصيل مرتبطًا بتطور صناعة النسيج ودخول أدوات جديدة في عملية التصنيع على أيدي المهاجرين[3]، مما ترتب علية زيادة الإنتاج ومن ثمَّ الحاجة إلى التوسع في زراعة مساحات أوسع من القطن. استخدم الحرفيون كذلك في عمليات النسيج بعض ألياف الأشجار، ولا سيما الجوز الذي صار هو المادة الأساسية في صناعة الخيوط[4]. وفضلا عن ذلك برع حرفيو لامو وغيرها من جزر الأرخبيل في استخراج الزيوت من أشجار الجوز أيضًا[5].

وتميزت لامو وبات عن غيرهما من جزر الأرخبيل بتوطن الصناعات المعدنية من النحاس فيهما، كما أكد تشتيك أن الفضة أيضًا كانت من أهم المعادن التي اكتشفت في بات واستغلها السكان[6]. وجاءت الأدلة الأثرية لتدعم ما ذهب إليه؛ إذ عُثر فيهما على آثار لأدوات تقليدية لصب المعادن، كما عُثر على آثار لبعض أدوات الزينة المصنوعة من المعادن. كما أدى توافر الأخشاب في الأرخبيل إلى ازدهار الصناعات الخشبية، ليس هذا فحسب، وإنما عُثر على بعض تلك المصنوعات مطعمة بالعاج[7].

(1) Ibid, p. 90

(2) Ghaidan U., Lamu: A Case Study of the Swahili Town, p. 86, 89.

(3) محمد قرقش، ممرجع سابق، ص81، 83.

(4) الإدريسي، مصدر سابق، ص50.

(5) Ghaidan U., Lamu: A Case Study of the Swahili Town, p. 87.

(6) Chittick, N., A new look at the history of Pate, The Journal of African History, Vol. 10, No. 3, 1969, p. 377.

(7) Ghaidan, U., Swahili art of Lamu, *African Arts*, Vol.5. No.1, 1971, p. 56.

انظر شكل(3) لأحد الأقراط المعدنية التي عثر عليها في لامو.

ورغم العثور على الكثير من الفخار المستورد[1] في أرخبيل لامو إلا أن الحفائر الأثرية أكدت أن سكان تلك الجزر مارسوا صناعة الفخار؛ إذ عُثر على العديد من الأواني الفخارية محلية الصنع، بل ميز الأثاريون نوعًا محددًا من الفخار المزخرف بزخارف هندسية أطلقوا عليه اسم فخار "**تانا**"، وأكدوا أن هذا النمط من الفخار شاع في مناطق كثيرة من الساحل من لامو شمالاً إلى موزمبيق جنوبًا[2]. وهذا يعني أن هذه الحرفة وجدت طريقها إلى جزر لامو في ركاب المهاجرين من الداخل الأفريقي، بل وشهدت تطورًا كبيرًا في موطنها الجديد ويؤكد ذلك أن تقارير الحفائر أشارت إلى تقلص واردات جزر الأرخبيل من الفخار إلى نحو الثلثين؛ حيث وجد من خلال التحليلات المعملية لبقايا الفخار أن نحو 28% من الفخار الذي استقبلته ماندا، ومن 3: 5% في شانجا، 5% في بات كان مستوردًا من الخارج، بينما كانت النسبة الأكبر محلية الصنع[3].

ولم يقف الأمر في مجال الصناعة عند هذا الحد، بل شهد الساحل الشرقي لأفريقيا والجزر المواجهة له تطورًا كبيرًا في مجال الصناعة، وذلك سواء من حيث الأدوات الأكثر تطورًا، أم من حيث المجالات، فعرف السكان صناعة السكر وتكريره، وصهر المعادن[4] وضرب العملة، ودباغة الجلود، وصناعة الزجاج[1]. كما أظهرت نتائج الحفائر وجود نشاط حرفي في شانجا لصناعة أدوات الزينة اعتمادًا على الأصداف[2].

---

(1) وكان أول تلك الإكتشافات في الأرخبيل في جزيرة ماندا، حيث عثر أثناء الحفائر على كميات كبيرة من الفخار الإسلامي الساساني والسيرافي، والخزف الصيني المزجج، وبعد التحليلات المعملية أُرجع تاريخ ذلك الفخار للقرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين. انظر:

Fleisher, J., & La Violette, A., The early Swahili trade village of Tumbe, Pemba Island, Tanzania, AD 600–950. *Antiquity*, Voll. 87. No.338, 2013, p. 1156; Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, Op., Cit., p. 201.

مما حدا بروبرتشو (Robertshaw) القول بأن القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد هو تاريخ استيطان جزر الأرخبيل، وبخاصة منطقة شانجا. انظر: Robertshaw, P., Archaeology in Eastern Africa: Recent Developments and More Dates, The Journal of African History, Vol. 25, No. 4, 1984, p. 370, 385.

(2) Boivin, N., Crowther, A., Helm, R., & Fuller, D. Q., Op., Cit., p. 250.

(3) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, Op., Cit., p. 204, 207

(4) ويؤكد على معرفة سكان المنطقة لصهر الحديد واستخدامه اكتشاف بقايا أفران لصهر الحديد جنوب شرق كينيا، في مناطق قريبة من منطقة الدراسة. انظر: Robertshaw, P., Op., Cit., p. 390.

وترجح الأدلة الأثرية أن النجارة صارت من أهم الأنشطة الحرفية التي مارسها بعض سكان أرخبيل لامو؛ حيث تؤكد تلك الأدلة على الاستخدام الواسع للأخشاب، ولا سيما في العمارة، فاستخدمت أخشاب المانجروف في عمل أسقف للمنازل الحجرية، ودعامات للجدران في المباني الكبيرة، كما صنع منها عتبات للأبواب والنوافذ، وبعض قطع الأثاث، وأوتاد فخاخ الصيد[3]، وصناعة الملاعق الخشبية والأمشاط[4] التي صارت نمطا متكررًا شاع في جزيرة لامو ومنطقة ساحل بنادر[5]. يعبر هذا عن وحدة الثقافة السواحلية التي شملت المنطقة الممتدة من ساحل بنادر شمالاً حتي سفالة[6] جنوبًا والجزر المواجهة لهذا الساحل.

واعتمادًا على توافر الموارد الطبيعية في جزر الأرخبيل مارس السكان العديد من الحرف، مثل تربية الحيوانات، بخاصة الأبل التي أدخلوا في نظام تغذيتها أوراق أشجار المانجروف، وفي مناطق نمو تلك الغابات الكثيفة قام السكان أيضًا بتربية النحل لإنتاج العسل، كما أنتجوا كميات كبيرة من الفحم من أشجار المانجروف والسنط، غير أن الأول كان هو الأعلى قيمة، والأكثر جودة[7].

---

(1) محمد قرقش، مرجع سابق ص81، 83.

(2) Horton, M., Primitive Islam and architecture in East Africa, Op., Cit., p. 105.

(3) Idha, M., Op., Cit., Pp. 8-10.

(4) انظر شكل(4) لأحد الأمشاط التي شاع انتشارها في جزيرة لامو وساحل بنادر.

(5) Arnoldi, M. J., The artistic heritage of Somalia." *African Arts*, Vol. 17. No .4, 1984, p. 29.

وساحل بنادر هو القسم الشمالي من بر الزنج وقصبته مدينة مقدشو في أول بلاد الزنج على ساحل البحر، ومن أشهر مدنها على البحر مركة وقرقونة. انظر: الإدريسي، مصدر سابق، ص48؛ القزويني، مصدر سابق، ص22، 62.

(6) سُفَالَةُ أخر مدينة معروفة في بر الزنج، وهي أكثر بلاد الزنج ذهبًا، فالذهب السفالي معروف ومشهور بين جميع تجار المحيط الهندي، واشتهرت كذلك بأصناف عدة من الطيور. انظر: الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017، جـ3، ص253؛ القزويني، المصدر السابق، ص44.

(7) Idha, M., Op., Cit., p. 9.

4- التجارة والصلات التجارية

كان لموقع جزر لامو وغني الساحل الأفريقي بسلع مهمة كالذهب والعاج أثره الكبير في توجه سكانها نحو البحر[1]، ومن ثَّم أضحت التجارة أحد أهم مرتكزات النشاط الاقتصادي لهم، وارتبطوا في ذلك بصلات تجارية مع مختلف بلدان المحيط الهندي بداية من جزيرة العرب، التي كانت أسبق المناطق اتصالاً بشرقي أفريقيا، إلى بلاد فارس، والهند، وحتى الصين[2].

وتشير سجلات المسافرين الصينيين أيضًا إلى نمو العلاقات التجارية بين الساحل السواحيلي ككل وبلاد الشرق الأقصى منذ فترة مبكرة ترجع للقرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد. وفي ذات الصدد تؤكد المصادر الجغرافية الإسلامية ازدهار المجتمعات البحرية على ذلك الساحل بحلول القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. ووفقًا للمسح الأثري، واعتمادًا على المصادر السالفة كانت جزر أرخبيل لامو من أهم المواقع التى تركز حولها النشاط التجاري آنذاك[3]؛ إذ بيَّن المسح الأثري تحديدًا مدى الرواج التجاري الذي شهدته جزر لامو، وذلك اعتمادًا على كثرة حطام السفن القديمة أمام سواحل لامو نفسها، فأعتبرت لامو ومحيطها من المناطق التي أسهمت بحظ وافر في الحركة التجارية العالمية في المحيط الهندي، وجزء من المحيط الهادي[4].

وتمثل **العملة** (السكة) دليلًا آخر على اتساع الصلات التجارية لأرخبيل لامو، ولا نبالغ إذا قلنا أن علاقات تلك الجزر التجارية امتدت إلى خارج حيز المحيط الهندي نحو سواحل البحر الأحمر لتحقق ارتباطًا مثمرًا منذ فترة مبكرة بتجارة البحر

(1) Pawlowicz, M. C., Op., Cit., p. 29

(2) Bita, C., Historical period stone anchors from Mombasa, Kenya: Evidence of overseas maritime trade contacts with Asia and Middle East." *International Journal of Environment and Geoinformatics*, No.2. Vol.3, 2015, Pp. 19- 20.

(3) Bita, C., Maritime and underwater archaeological explorations in Kenya: Recent discoveries, 2020, Pp. 3-4.

(4) Bita, C., The Ngomeni Shipwreck: Its Discovery and What it Tells us About 16th Century Transoceanic Trade, *Kenya Past and Present*, Vol. 45, 2018, Pp. 33-34.

المتوسط[1]، وكانت أقدم العملات المعدنية التي عُثر عليها في شانجا ترجع للقرنين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد، وتشبه تلك التي انتجتها الجماعة الزيدية في اليمن[2].

وتؤكد نتائج الحفائر الأثرية عدة أمور بالنسبة للعملة، أولها استمرار اعتماد التبادل التجاري على العملات الوافدة، وثانيها استمرار وتطور العلاقات التجارية مع مناطق حوض البحر المتوسط؛ إذ عُثر بين تلك العملات على مسكوكات فاطمية وأخرى صقلية يرجع تاريخها للقرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين[3]. وأما الأمر الأخير فيرتبط بتطور المسكوكات في جزر الأرخبيل؛ حيث عُثر على مسكوكات تدل على أنها أنتجت في مجتمع إسلامي، ولكنَّها في الوقت نفسه لا تحمل أية إشارات تشير إلى أنها وافدة من الخارج أو مشابهة لعملات خارجية، مما يشير إلى الاستقرار الإسلامي منذ وقت مبكر في تلك المنطقة بهدف التجارة[4].

ولم يقتصر الأمر على تلك المسكوكات، فنظرًا لرواج الحركة التجارية في جزر الأرخبيل خاصة وساحل أفريقيا الشرقي ككل عُثر أيضًا على عملات صينية نحاسية، وفضية، وذهبية. وهي عَملات راج استخدامها لدي العرب، فأدخلوها إلى سواحل أفريقيا الشرقية وتعاملوا بها في معاملاتهم التجارية، وقد أتاح ذلك للصينيين استخدامها بعد ذلك في معاملاتهم التجارية المباشرة مع المنطقة[5].

وعلى هذا النحو تأكد اعتماد جزر لامو في مبادلاتها التجارية على عملات واردة من الخارج، إلا أن تطور اقتصاد المنطقة حتم على حكامها سك عملات خاصة بهم، وقد عُثر على نموذجين لتلك العملات، أولهما عُثر عليه في إحدي مقابر لامو، ولكن حالته كانت سيئة للغاية ولذا لم يتبين إن كان قد تم سكها في لامو أم أنها من ثمار صلاتها الخارجية. وأما النموذج الآخر وهو الأكثر وضوحًا فقد عُثر عليه في بات

(1) Bita, C., Maritime and underwater, Op., Cit., p. 2.
(2) Pawlowicz, M. C., Op., Cit., p. 17.
(3) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, Op., Cit., p. 204.
(4) Ibid, p. 210.
(5) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص42.

يرجع لبداية القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد؛ ولذا كان أكثر وضوحًا وتعبيرًا عن الهوية الثقافية والتطور الاقتصادي الذي وصلت إليه جزر لامو، فالعملة كانت تحمل شعارات إسلامية، وأسماء عربية مثل محمد، وحسن، وأبو بكر[1]. كما عُثر على هذه العملات في أكثر من موضع في الساحل الشرقي لأفريقيا، ولا سيما في كلوا وزنجبار[2].

ويرى الباحث أن العملة على قلة ما عُثر عليه منها في أرخبيل لامو من أهم الأدلة التي تؤكد ثقافيًا على اصطباغ الساحل بأسره بالصبغة العربية الإسلامية، واقتصاديًا على مدى توسع الصلات التجارية الخارجية للمنطقة مع عالم المحيط الهندي من جانب، وكذلك الصلات الإقليمية بين مدن الساحل الكبرى من جانب آخر.

وأما فيما يخص حجم النشاط التجاري ورواجه في أرخبيل لامو، فتؤكد نتائج المسح الأثري لقاع المحيط ضخامة النشاط التجاري فيها، حيث عُثر على عدد كبير من القطع الأثرية الغارقة في محيط تلك الجزر، وكان أهم تلك الأدلة هو مراسي المراكب؛ إذ عُثر على مراسى كبيرة ذات خطافات ثلاثية، وهذا النمط من المراسي الكبيرة لم يكن سائدًا في الساحل السواحيلي، مما يعني أن مراكب أجنبية كبيرة الحجم قصدت الساحل وتاجرت مع سكانه[3].

وعلى هذا النحو أصبحت الحركة التجارية أحد أهم مقومات ارتباط جزر لامو وغيرها من مناطق شرقي أفريقيا بعالم المحيط الهندي؛ إذ لم تقم على مجرد تبادل السلع فحسب، فقد أدى اعتماد الحركة التجارية في المحيط الهندي على قاعدة الرياح الموسمية إلى ضرورة استقرار التجار الوافدين في تلك الجزر لفترة طويلة انتظارًا لانعكاس اتجاه الرياح للعودة إلى بلادهم، وقد أدى ذلك لزيادة التفاعل والاندماج بين التجار والسكان المحليين، مما دفع بعضهم للاستقرار الدائم في شرقي أفريقيا[4].

---

(1) انظر شكل(1) في الملاحق.

(2) Freeman-G, Greville S. P., Coinage in East Africa before Portuguese Times, *The Numismatic Chronicle and Journal of the Royal Numismatic Society*, Vol.17, 1957, Pp. 173-175.

(3) Bita, C., Maritime and underwater, Op., Cit., p. 7.

(4) Horton, Asiatic colonization of the East African coast, M., Op., Cit., p. 207.

وكان من نتائج ذلك ازدهار ونمو الحركة التجارية، وظهور عدد كبير من المراكز التجارية التي خدمت تجارة المحيط الهندي، ولا سيما بين ساحل شرق أفريقيا وجزره وشبه الجزيرة العربية، وهو ما تؤكده بوضوح شهادة ابن بطوطة المتوفي عام 779هـ/1377م، فمن واقع زيارته للمنطقتين وجد تشابهًا كبيرًا ليس فقط في المعاملات التجارية ونظمها ورسومها، وإنما الأمر تخطى ذلك إلى الطريقة التي كان يستقبل بها التجار الغرباء في موانيهما وأسواقهما[1]. وهو ما يعبر عن العلاقة الوطيدة بين الجانبين، أو أن سكانهما أبناء جلدة واحدة. واعتمدت حركة التجارة بين جزر لامو والعالم الخارجي على عدد من السلع الرئيسة، مثل الفخار والخزف، والمنسوجات، والأخشاب، والعبيد، والعاج وغيرها من السلع على النحو التالي:-

أ. الصادرات

عرف الساحل الشرقي لأفريقيا والجزر المواجهة له وفرة في إنتاج عدد من السلع، مثل الرقيق، والعاج، والأخشاب، والبلور الصخري، والحديد. وقد أدى هذا الفائض إلى نمو وازدهار الصادرات الأفريقية التي عرفت طريقها إلى مختلف أسواق العالم سواء في المحيط الهندي أو غيره.

- الرقيق

يمثل الرقيق الأفريقي أحد أهم صادرات شرقي أفريقيا ككل، وقد ساهم أرخبيل لامو بنصيب في تلك التجارة. وكانت بلاد العرب هي أحد الأسواق المهمة لتلك التجارة، فقد امتلأت الأسواق العربية بأعداد كبيرة من الرقيق الأسود، كما لعب العرب دور الوسيط في نقل الرقيق الأفريقي إلى غير الأسواق العربية، وحققوا من وراء ذلك أرباحًا هائلة، فالعبد الذي يشترى بأطوال من القماش كان يباع بنحو ثلاثين دينارًا من الذهب، ولو حمل إلى أسواق البحر المتوسط كانت أسعاره تتضاعف لتصل لنحو مائة وستين دينارًا في مقابل الرقيق الأبيض الذي لا يتعدى سعره الثلاثين دينار[2].

(1) تحفة النظار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار، جـ2، ص115، 124. جـ4، ص133.

(2) ريتشارد هول، مرجع سابق، ص36-39.

ويرى الباحث أن ارتفاع أسعار الرقيق الأسود على هذا النحو كان مبنيًا على تعدد مجالات استخدامهم، فقد عمل الرقيق السود كخدم في قصور الخلفاء والأمراء، وكحراس لهم، كما عملوا كجنود في الجيوش، شأنهم في ذلك شأن الرقيق الأبيض، وعملوا كذلك في كثير من الحرف والصناعات، والتجارة لدى سادتهم، وفضلاً عن ذلك حقق بعضهم مركزًا مرموقًا في المجتمعات التي عاشوا فيها. وهذا بعكس الرقيق الأبيض الذي قصر استخدامه في المجالات العسكرية. وقد ساهم أولئك الرقيق بدورهم في مختلف جوانب الحياة[(1)].

وتشير الدراسات الحديثة أن أولئك الرقيق ساهموا بشكل فاعل في تجفيف أهوار شط العرب على سبيل المثال[(2)]. كما شهدت المدن الصينية منذ عهد أسرة سونج توطين أعداد كبيرة من الرقيق السود ممن شملتهم حركة التجارة بين الصين وساحل شرق أفريقيا في بعض مناطق الصين[(3)].

-العاج

كان العاج الأفريقي من السلع التي شهدت طلبًا متزايدًا في مختلف أسواق المحيط الهندي، وكذلك البحر الأحمر، فتشير وثائق الجنيزة إلى أن كميات كبيرة من العاج كانت تمر عبر خليج عدن نحو أسواق البحر الأحمر[(4)]. وكانت الصين أحد أهم الأسواق التي استقبلت شحنات من العاج الأفريقي القادم من لامو وبات، ووصول العاج الأفريقي إلى الأسواق الصينية ليس بالأمر المستغرب، ولكن الغريب هو وصول

(1) للمزيد من التفاصيل راجع: محمد جاب الله على، دور السودان في مجتمعي مصر والحجاز في العصر المملوكي(648-923هـ/1250-1517م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، كلية الآداب، جامعة بني سويف، 2021، مج10، ص261-301.

(2) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 210.

(3) 司徒尚纪, and 许桂灵. "中国海上丝绸之路的历史演变." 热带地理 35.5 2015. 年 , 第 632 页 。 (سيتو شانجي، وشو جويلينج "التطور التاريخي لطريق الحرير البحري الصيني." الجغرافيا الاستوائية 35.5 2015،)

(4) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 210.

ذات العاج إلى الأسواق الهندية[1]، وذلك رغم غنى الهند بالعاج. ويفسر ذلك الإقبال على العاج الأفريقي بتميزه عن غيره من العاج من حيث الحجم والجودة[2].

- الأخشاب

ذكر صاحب الروض المعطار غنى لامو بالأخشاب التي لا مثيل لها، وهي إشارة في غاية الدقة[3]؛ إذ أضحت أخشاب أشجار المانجروف(Mangrove) أحد أهم صادرات جزر لامو إلى عالم المحيط الهندي، وبخاصة شبه الجزيرة العربية، والخليج العربي وبلاد فارس، والهند، ووصلت صادرات لامو من تلك الأخشاب حتي بلاد الصين في بعض الأحيان[4].

وكانت منطقة نجوميني (Ngomeni) في أرخبيل لامو أكثر مناطق الساحل إنتاجًا لخشب المانجروف، وهي في الوقت ذاته بوابة لامو في الوصول للساحل الأفريقي، ولاسيما إلى مالندي، لذا أضحت المركز الرئيس لتصدير أخشاب المانجروف إلى الخارج عبر لامو[5]. وفي ذات الوقت كانت مدينة سيراف هي أول الأسواق التي

(1) فضل الهنود استخدام العاج الأفريقي عن العاج الهندي لما تميز به العاج الأفريقي لنعومة ملمسه، ولكونه طيع تسهل صناعته وتشكيله، فكان يستخدم في صناعة مقابض الخناجر والسيوف، وزينت به أغمادهما، واستخدم كذلك في صناعة الأساور وقطع الشطرنج، ولعل القيمة الكبيرة للعاج كجزء من جهاز العروس، لا سيما عند الهندوس كان دافعًا لجلب كميات كبيرة منه من أفريقيا لسد الحاجة في الأسواق الهندية. Chittick, N., Indian relations with East Africa before the arrival of the Portuguese1. *Journal of the Royal Asiatic Society*, Vol.112. No2, 1980, p. 119.

(2) عانت الأسواق الهندية من قلة واردات العاج الأفريقي منذ أن وطأت أقدم المحتل الأوروبي الساحل الشرقي لأفريقيا، فنظرًا لجودته فقد تنافست عليه الدول الأوروبية، وحولت مسار شحنات العاج من أسواق شرق المحيط الهندي إلى الأسواق الأوروبية، وأسواق العالم الجديد. للمزيد من التفاصيل حول تجارة العاج الأفريقي ودور لامو في ذلك راجع:

Ylvisaker, M., The ivory trade in the Lamu area, 1600–1870." *Paideuma*, Vol. 28, 1982, Pp. 221-231.

(3) الحميري، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص546.

(4) Idha, M., Op., Cit., Pp. 1-2.

(5) Bita, C., The Ngomeni Shipwreck, p. 34.

وصلت إليها شحنات الخشب من لامو؛ فقد عُثر على بقاياه في بعض منشآت المدينة، أُرجع تاريخها للقرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وهي ذات الفترة التي شهدت ازدهار التجارة بين الجانبين. كما عُثر على آثار لهذا الخشب في بعض المنازل في بلاد فارس، إذ كانت تستخدم في تغطية أسقف المنازل، كما وصلت شحنات خشب المانجروف حتى بلاد العراق، حيث استخدم في بعض المنشآت عند بناء مدينتي بغداد وسامراء[1].

- **البلور الصخري**

دخل البلور الصخري قائمة صادرات جزر لامو، غير أن الدراسات الحديثة لا تشير إلى تجارته، وهذا لأن صادرات أخري هي التي ركز عليها الباحثون مثل تجارة الرقيق والعاج، ولكنَّ الحفائر الأثرية ونتائجها بينت أن هذه السلعة من الصادرات المهمة للساحل الشرقي لأفريقيا. وهناك أشارة مصدرية مهمة في هذا الصدد، إذ أشار ناصر خسرو المتوفى(481هـ/1088م) إلى وجود بلور غاية في الجمال تجلب أحجاره من المغرب وتصّنع في مصر غير أن بلورًا ألطف وأكثر شفافية ظهر عند بحر القلزم[2]. وهذا يعني ازدهار تجارة البلور بين مصر وشرقي أفريقيا وقتذاك.

وتؤكد تقارير الحفائر أن مناطق إنتاجه في شرقي أفريقيا تقع في الوادي المتصدع الأوسط في الداخل الأفريقي، ومنها يصل إلى مناطق الساحل. وتشير تقارير الحفائر إلى وجود بقايا البلور في كل من ماندا وشانجا من جزر لامو، وهو ما يعني أنه يصل إلى تلك الجهات حيث يتم تقطيعه وتنظيفة وإعداده للتصدير لتلبية الطلب المتزايد عليه[3].

وكان لصادرات البلور أثر كبير في اتساع مدى الصلات التجارية الخارجية لجزر لامو؛ إذ ربطها بمناطق جديدة بعيدة عن مجال المحيط الهندي، فكانت أسواق مصر

(1) ريتشارد هول، مرجع سابق، ص22. انظر أيضًا:
- Bita, C., Maritime and underwater, p. 9.

(2) ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1993، 118.

(3) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 210.

الفاطمية هي أكبر مستورد لهذا للبلور خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين. ومما يؤكد على ازدهار العلاقة بين مصر وجزر لامو أن العملة الفاطمية اكتسبت أهمية كبيرة في شرقي أفريقيا آنذاك[1].

-الحديد

يمثل الحديد سلعة مهمة توافرت بكثرة في سواحل أفريقيا الشرقية، وكانت مدينتي مالندي (Malindi) وممبسة (Mombasa)[2] هما المركز الرئيس لتجارته، فهو بحسب الإدريسي أكثر مكسبهم وتجارتهم[3]، ولكنَّ الحفائر التي أجريت في جزر لامو، وتحديدًا في ماندا أكدت على وجود تعدين للحديد في منطقة متانجاواندا(Mtangawanda)، ومن ثَّم صارت ماندا إلى جانب مالندي هما منطقتا إنتاج الحديد في سواحل أفريقيا الشرقية، وأن إنتاجهما من الحديد دخل في إطار تجارة المحيط الهندي[4].

وبالإضافة إلى تلك السلع الرئيسة التي خرجت من أرخبيل لامو أو كانت هي المركز الرئيس لتصديرها وجدت سلع أخري دخلت ضمن قائمة الصادرات منها، جلود الفهود التي كانت تستخدم على ظهور الخيول، وقرون وحيد القرن التي كانت لها فوائد طبية ودخلت في صناعة العقاقير الطبية، والعنبر الذي كان يكثر في الساحل وجزره، والذي بالغ الأفارقة في تقدير ثمنه؛ لأنه كان ذا فوائد طبية. وكان الصينيون هم أكثر الشعوب التي أقبلت على شراء العنبر الأفريقي[5].

(1) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 210.

(2) مدينتان كبيرتان على ساحل البحر ببلاد الزنج، وأهلهما يحترفون الصيد برًا وبحرًا، ويشتهرون باستخراج الحديد. الحميري، مصدر سابق، ص545، 552.

(3) الإدريسي، مصدر سابق، ص59.

(4) Chittick, N., Manda-Kenya's earliest tow, p.

(5) 杨斌《从印度洋归来——泉州湾宋代航路新考》。《海事历史研究杂志》· 第 83 期 · 第 1 期 · 2021 年。第 14-16 页 。 (يانغ بن، العودة من المحيط الهندي– دراسة جديدة لطريق الملاحة في عهد أسرة سونغ في خليج تشيوانتشو". مجلة البحوث التاريخية البحرية، 83، العدد 1، 2021)

ب- الواردات

تعددت السلع الواردة التي استقبلها أرخبيل لامو، والتي تبين على نحو أفضل مدى اتساع العلاقات التجارية بينها وبين مختلف بلدان المحيط الهندي، والخليج العربي، والبحر الأحمر على نحو ما أسلفنا. ولعل أهم تلك الوادرات كانت من الفخار، والخزف، والمنسوجات، والطوب، وغيرها.

- الفخار والخزف

كان الفخار والخزف من أهم الواردات التي استقبلها أرخبيل لامو فقد تم تحديد أحد عشر موقعًا عُثر فيها عليهما أثناء الحفائر التي أجريت بالجزر[1]. وتُعد جزيرة ماندا هي أبرز المواقع التي عُثر فيها على واردات من الفخار[2] والخزف الصيني الأبيض والأخضر، ومتعدد الألون، هذا فضلاً عن الأواني الإسلامية المزججة بالزجاج الأبيض، وأكدت التحليلات المعملية أن تاريخ هذه اللقى يرجع إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. ولكنَّ تقارير الحفائر الأثرية تؤكد على عدة أمور فيما يخص واردات الفخار والخزف إلى أرخبيل لامو، **الأول:** أن الفخار والخزف عرف طريقه إلى المنطقة قبل ذلك التاريخ؛ فالفخار الذي عُثر عليه في بات على سبيل المثال يرجع تاريخه للقرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد. كما تؤكد تلك التقارير على استمرار واردات ذات النوع من الفخار إلى بات على مدى زمني أمتد حتي منتصف القرن السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد، فرق خلالها الباحثون بين خمس فترات للفخار المستورد ميزها عن بعضها تطور الأواني الفخارية التي عُثر على بقاياها من حيث الصقل

(1) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, Pp. 203-204.

(2) يُعد الفخار الصيني المصنع في مديتي الزيتون وصين كلان(كانتون أو خانفو) أحد أجود أنواع الفخار التي اكتسبت شهرة عالمية، وراجت تجارته في مختلف أسواق المحيط الهندي، بل وصل أيضًا إلى أسواق البحر المتوسط. وينقسم الفخار الصيني إلى نوعين بحسب طريقة التصنيع لأن مادته واحدة، فالأول والأجود هو ما خُمر لمدة شهر كاملاً قبل أن يدخل مرحلة التصنيع، وأما الثاني فهو ما خُمر لمدة عشرة أيام فقط، وهذا يشبه الفخار العادي المنتشر في مناطق عدة في علم المحيط الهندي. انظر: ابن بطوطة، مصدر سابق، جـ4، ص125.

والزخارف[1]. كما عُثر على بعض قطع الفخار المزجج قادمة من بلاد فارس والخليج العربي يرجع تاريخها تحديدًا إلى أوائل القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد[2].

وأما ثانيها: أن الصين لم تكن المصدر الوحيد لواردات الخزف إلى المنطقة، فقد عثر على بعض القطع الخزفية التي تشبه الخزف الصيني غير أنها صُنعت في العراق تقليدًا للخزف الصيني، وأما الفخار فقد كانت منطقة الخليج العربي، ولا سيما سيراف وعُمان[3] هما أكثر المناطق التي أمدت لامو بالفخار، وهذا بناءً على تقارير الحفائر والتحليلات المعملية التي أجريت على بقايا الأفران التي عُثر عليها في سيراف نفسها، فوجد أن تلك الأفران كانت مخصصة لإنتاج جرار الفخار الكبيرة غير المزججة. كما أن قطع الفخار التي عُثر عليها هناك تشبه تلك التي عُثر عليها في ماندا[4]. وفي فترات لاحقة عُثر أثناء الحفائر في بات على بعض شققات الفخار الهندي[5].

وأما الأمر الأخير: فهو استمرار تجارة الفخار والخزف بين جزر لامو ومناطق الخليج العربي وبلاد فارس والشرق الأقصى؛ حيث عُثر على عدة جرار كبيرة من

(1) Wilson, T. H. & Omar, A. L., Excavation at Pate on the East African coast. *Aspects of African Archaeology*, 1996, p. 546, 548.

(2) Chittick, N., Manda-Kenya's earliest tow, Pp. 4; Ichumbaki, E. B., & Pollard, E., Potsherds coated with lime mortar along the East African coast: their origin and significance. *African Archaeological Review*, Vol.*32*, 2015, p. 447.

(3) ولمنطقة هَجَر شهرة كبيرة في إنتاج الجرار الكبيرة فقد جاء في حديث الرسول صلي الله عليه وسلم في الماء الصالح للوضوء قوله: " إِذَا كَانَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلْ نَجِسًا وَلَا بَأْسًا". فالقلال هنا هي قلال هَجَر، وهي جرار كبيرة تسع فرقتين والفرق ستة عشر رطلًا. انظر: النسائي، سنن النسائي، كتاب الطهارة، 110/309–111؛ البيهقي، زوائد السنن الكبرى، كتاب الطهارة، 109/304؛ الدارقطني، كتاب الطهارة، باب الماء إذا بلغته النجاسة 54/1. وقد اختلف استخدام تلك الجرار الكبيرة التي جلبها العرب في موطنهم الجديد، ففي الوقت الذي استخدمها التجار العرب في تخزين ونقل الزيت، استخدمها العرب والأفارقة في شرقي أفريقيا في تخزين المياه. انظر: ريتشارد هول، مرجع سابق، ص61.

(4) Chittick, N., Manda-Kenya's earliest tow, Pp. 4-5.

(5) Wilson, T. H& Omar, A. L., Op., Cit., p. 451.

وصل الفخار الهندي إلى أرخبيل لامو بحسب المسح الآثاري في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، واستمرت امداداته تصل للمنطقة حتى القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، وذلك قبل أن تصبح الصين هي المصدر الرئيس لواردات الفخار إلى لامو. Chittick, N., Indian relations with East Africa before the arrival of the Portuguese, p123.

الفخار أكدت تقارير الحفائر أنها ترجع للقرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد[1]، وعثر كذلك على الأواني الفخارية والخزف المستورد في الطبقات العميقة بين 4,87 و5,24م[2]، بينما عُثر في الطبقات العلوية على عمق يتراوح بين 2,5 و 3,5م على آثار للخزف الساساني وخزف جنوب شرق آسيا، وبينت الاختبارات المعملية أن تاريخه يرجع للقرنين التاسع والعاشر الهجريين/الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. ويُستدل من ذلك على أمرين، **الأول** منهما: مرتبط بنشاط حركة التجارة بين جزر الأرخبيل وبلاد فارس والشرق الأقصى، وأما **الآخر** فيرتبط بحركة الهجرة الوافدة نحو تلك الجزر، والتي يبدو وفقًا لتلك الأدلة أن جماعات الفرس والقادمين من الشرق الأقصى قد تركز وجودهم فيها إبان تلك الفترة[3].

ونظرًا لكثرة ما عُثر عليه من الأواني الصينية أثناء الحفائر ركز الآثاريون على دراسة وتحليل تلك البقايا الأثرية، فأكدت تقاريرهم أن الأواني المجلوبة من الصين سواء من الفخار أم الخزف نوعان، عرف الأول منهما بخزف **تينج**(Ting Wares)، وأما الثاني، فعرف بأواني **يو ياو**(Yue Yao) أو الأواني الخضراء. كما أكدوا أن وصوله إلى شرقي أفريقيا لم يكن مباشرة من الصين، وإنما مر عبر وساطة العرب؛ إذ عُثر على بقايا ذات السلع في منطقة الخليج العربي، ولا سيما في مدينة سيراف[4]، وفضلًا عن ذلك عثروا على جرار حجرية كبيرة مجلوبة أيضًا من الصين أطلقوا عليها أسم جرار دوسون(Du'sun)[5].

ويرى الباحث أن هذا يرتبط فقط بالفترات الزمنية المبكرة لوصول الفخار والخزف إلى جزر لامو، ولكنَّ الأمر اختلف بعد ذلك حيث شارك الصينيون العرب وغيرهم في الاتصال المباشر بشرقي أفريقيا. وعلى هذا النحو شملت قائمة الواردات منتجات فارسية وصينية أخري غير الفخار والخزف وصلت مباشرة من تلك الجهات إلى جزر

(1) Chittick, N., Manda-Kenya's earliest tow, p. 4.
(2) Wilson, T. H& Omar, A. L., Op., Cit., p. 546.
(3) Ibid, p. 544.
(4) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 207.
(5) Fleisher, J., & La Violette, A., Op., Cit., p.1157.

لامو، ومنها الأقداح الزجاجية، والعطور، وأطباق الطعام المزخرفة، والبورسلين الأبيض غير الشفاف، والمصابيح وبعض الأواني النحاسية[1].

وعُثر كذلك على آثار للفخار الهندي وأكدت التقارير الأثرية وصوله إلى الساحل منذ وقت مبكر؛ حيث ترجع أقدم آثاره في الساحل إلى النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، كما أن أثاره في لامو عُثر على أكثرها في ماندا وشانجا[2]. وتعددت أشكال الفخار الهندي الذي عُثر عليه في ساحل شرق أفريقيا من حيث الشكل والصقل، فعرف الساحل أربعة مجموعات من الفخار أولها، الأواني رمادية اللون، وهي أقلها من حيث الجودة والصقل، وكانت تصنع من الطين والقش، وقد شاع انتشارها في الساحل بين القرنين الخامس إلى الثامن للهجرة/الحادي عشر للرابع عشر للميلاد. وثانيها، الأواني الأرجوانية ذات اللون البني الداكن، وهذا النوع من الفخار أفضل من سابقه من حيث الصنع والصقل، وشاع انتشاره في الفترة من القرن السادس للثامن الهجري/الثاني عشر للرابع عشر الميلادي[3].

وتتمثل المجموعة الثالثة في الأواني البرتقالية المائلة للحمرة، غير أن هذه المجموعة شاع انتشارها في مناطق بعيدة عن أرخبيل لامو بين القرنين الرابع والثامن الهجريين/العاشر والرابع عشر الميلاديين. وأما أخر تلك المجموعات فتتمثل في الأواني الحمراء، هي أواني خزفية مزخرفة بخطوط محفورة وأشرطة عند الحواف، وعُثر على كميات كبيرة من بقايا هذا الخزف في شانجا من أرخبيل لامو، وقد أكدت الأختبارات المعملية أن تاريخ تلك الأواني يرجع للفترة بين القرن الخامس للثامن الهجري/الحادي عشر للرابع عشر الميلادي[4].

---

(1) ريتشارد هول، مرجع سابق، ص61.

(2) وكانت أقدم أثار للفخار الهندي قد عُثر عليها في أقصى شمال ساحل الصومال في منطقة رأس حافون Ras Hafun، واستمرت واردات الساحل الشرقي لأفريقيا من الفخار الهندي حتي القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد. انظر:

- Horton, M, Artisans, communities, and commodities: Medieval exchanges between northwestern India and East Africa, *Ars orientalis*, Vol. 34, p. 70.

(3) Horton, M, Artisans, communities, and commodities, p. 71.

(4) Loc., Cit. انظر شكل(5) لنماذج من الأنية الخزفية الحمراء

وبناءً على ما تقدم فإن أرخبيل لامو استقبل أربعة أنواع من الفخار والخزف كان أقدمها هو الفخار المطلي باللون الأبيض، والراجح أنه قدم إلى المنطقة من جنوبي الجزيرة العربية، ثم تلى ذلك الفخار الساساني من بلاد فارس، وأخيرًا الفخار والخزف الهندي والصيني. وفيما يخص النوع الأول وجد أن بعضه كان مصقولاً بشكل جيد؛ إذ تبين من البقايا التي عُثر عليها استخدمه لتخزين المواد الغذائية مثل الزيوت والتمور[1].

وتبرز نتائج الحفائر الأثرية قيمة الوساطة العربية في معرفة الساحل الأفريقي بتلك السلعة. وكما كانت سيراف وصُحار وغيرهما من مدن الخليج العربي وسيطًا تجاريا لهذه السلعة، فان تقارير الحفائر الأثرية تؤكد أن جزيرة ماندا صارت هي المركز الرئيس في شرقي أفريقيا لتجارة الفخار والخزف منذ بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. ويؤكد ذلك تحليلات الكربون المشع لبعض عينات الفخار التي عُثر عليها في شانجا(Shanga) وأونجوانا(Ungwana)، فتبين أن تاريخها يرجع لنحو 880+40 أي نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر[2].

ويقتضي الإنصاف أن نشير إلى أن ازدهار ماندا وغيرها من جزر الأرخبيل يرجع لما هو قبل هذا التاريخ بنحو قرن من الزمان؛ وذلك وفقًا لتطور حركة التجارة والصلات التجارية الخارجية بين شرقي أفريقيا والعالم الخارجي، وبخاصة منطقة الخليج العربي، وبلاد فارس[3]. كما أن ازدهارها وعلاقاتها التجارية لم تقف عند حد الجزر المجاورة لها؛ فبناءً على الحفائر الأثرية عُثر على ذات الخزف في بعض مناطق الساحل الأفريقي، وكذلك في بعض مناطق الظهير الداخلي للساحل، وعُثر إلى جانبه على بقايا للخزف محلي الصنع[4].

ويرى الباحث أن العُثور على الخزف محلي الصنع في المناطق الداخلية يشير إلى حقيقتين، **الأولى** مفادهما، انخفاض واردات الخزف المستورد من الخارج في المراكز الرئيسة بجزر لامو، ومن ثَّم تراجعت واردات المناطق الداخلية منه. **والحقيقة الثانية**

(1) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 204, 209.
(2) Ibid, p. 207.
(3) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 209.
(4) Pawlowicz, M. C., Op., Cit., p. I.

مرتبطة بوصول بعض المهاجرين إلى تلك المناطق فأدخلوا أساليب صناعة الخزف، فصار ينتج محليًا عوضًا عن استيراده من الخارج.

وشهد إنتاج الفخار والخزف المحلي في أرخبيل لامو تطورًا كبيرًا في أساليب الزخرفة والصقل مطلع القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، فعُثر في شانجا وبات على العديد من الأوعية ذات الأشكال الكروية –وهي الشائعة– مزخرفة بخطوط محفورة متقاطعة، ونقوش على الحواف، ولكن في بات وجدت أيضًا الأواني ذات العنق. وأما الصقل فقد كان الفخار مصقولاً بشكل جيد وملمعًا من الداخل والخارج[1].

ورغم إنتاج الفخار والخزف محليًا إلا أن عمليات الاستيراد لم تتوقف، بل صارت تجارته تشمل جزءًا أوسع من الساحل الشرقي لأفريقيا والجزر المواجهة له، فعثر على الخزف والفخار المزجج والأبيض في منطقة رأس مكومبو، ومتمبو مكو(Mtambwe Mkuu) في جزيرة بيمبا القريبة من أرخبيل لامو، وكذلك في ممباسا. وأكدت نتائج الحفائر أن تاريخ تلك السلع يرجع للقرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[2].

– الطوب المحروق

يُعد الطوب أحد السلع المهمة التي تم استيرادها من الخارج، وقد عُثر على شظايا هذا الطوب أثناء المسح الأثري للشاطىء المدفون في ميناء ماندا؛ حيث استخدم في تدعيم الجدران البحرية التي تم بناؤها لتوسيع الميناء[3]. وتبين أن هذا الطوب تم

(1) Ibid, p. 224.

(2) Pawlowicz, M. C., Op., Cit., p.225, 408.

(3) قدم الرحالة البرتغالي باربوسا(Barbosa) الذي زار الساحل في أوائل القرن 16/10م تفسيرًا آخر لوجود هذه الجدران جيدة البناء، فقال أنها بُنيت على هذا النحو الجيد تجنبًا لحالة الحرب بين سكان تلك الجزر والوثنيين في البر الرئيس. انظر:

- Dames, M., L., ed. *The Book of Duarte Barbosa, An Account of the Countries Bordering on the Indian Ocean and Their Inhabitants*, printed for the Hakluyt Society, Vol. 1, London, 1918, p. 29.

ولكن لا يمكن قبول هذا الرأي؛ لآن الإسلام في تلك الفترة التي كتب فيها باربوسا كتابة كان منتشرًا في الجزر والساحل، فلا مجال إذن للصراع بين سكانهما. بل يُفسر ذلك بزيادة الحركة التجارية بين الجزيرة والعالم الخارجي، هذا من جانب، ومن جانب آخر تزايد أعداد السكان الذين فضلوا الاستقرار في المنطقة عن غيرها من مناطق الأرخبيل. راجع: محمد قرقش، مرجع سابق، ص80.

استيراده من منطقة الخليج العربي، وتحديدًا من صُحار، وذلك بناء على التشابه الكبير من حيث اللون والحجم بين الطوب في المنطقتين[1].

ورغم ذلك فالتحليلات المعملية الأولى لعينات هذا الطوب أكدت أن الطوب الذي استخدم في بناء تلك الجدارن صنع محليًا ولم يكن مجلوبًا من الخارج[2]. ويرى الباحث أنه يمكن الجمع بين الرأيين، فالطوب تم استيراده من الخارج خلال المراحل الأولى لاستقرار العرب في تلك الجهات، واستخدم على النحو سالف الذكر، وبعد فترة من الاستقرار استخدم الوافدون نفس التقنيات من حيث اللون والحجم والابعاد في صناعة الطوب محليًا عوضًا عن استيراده من الخارج؛ وذلك نظرًا لثقل وزن الطوب وارتفاع تكلفة نقله.

وبعد هذا العرض للصلات التجارية الخارجية لجزر أرخبيل لامو يظهر مدى الرواج التجاري الذي شهدته، وكيف توسعت صلاتها التجارية المباشرة حتى وصلت إلى أقصى شرق المحيط الهندي في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[3]، وهذا ما أكدته تقارير الحفائر والمسوحات الأثرية في البر والبحر؛ حيث عُثر على كثير من الأدلة الأثرية، ومنها طبق يحمل صورة التنين الشعار الصيني(明朝)[4].

ومما يدل على نمو الصلات التجارية التي ربطت الصين والهند بالمنطقة انتشار الخزف الصيني في عدة مناطق من الأرخبيل، فعُثر عليه في بات وفازا وسيو. كما لم تقتصر تلك الأدله على البر دون البحر، حيث عُثر في البحر على الكثير من سبائك النحاس، كما كشف عن حطام بعض السفن الصينية[5]. وفضلًا عن هذا عُثر كذلك على الكثير من المنتجات الهندية التي جلبها الهنود بأنفسهم أو عبر وساطة العرب، والتي كان أهمها الأقمشة القطنية الملونة، وخاصة الأحمر والأزرق، وكذلك الخرز

(1) Chittick, N., Manda-Kenya's earliest tow, p.8.

(2) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 206.

(3) حدد بيتا دول الشرق الأقصى ببلاد الصين وتايلاند وبورما. انظر:

Bita, C., Ancient Afro-Asia links. Evidence from a maritime perspective. p. 5.

() 4انظر شكل(6) طبق يحمل شعار التنين، وبعض الأواني الخزفية

(5) Bita, C., Ancient Afro-Asia links. Evidence from a maritime perspective, pp. 5-7.

الذي عُثر عليه بكثرة وبألوان متعددة منها الرمادي والأحمر والأصفر، وكذلك النحاس، ومن السلع الزراعية الأرز، وقصب السكر، وكذلك عسل القصب، وزيت السمسم[1].

ويدل كل ذلك بما لا يدع مجالًا للشك على نمو وتطور الصلات التجارية بين أرخبيل لامو من جانب، وعالم المحيط الهندي من جانب آخر. وقد كان من نتاج ذلك أن أضحت جزر لامو هي بوابة تجار المحيط الهندي نحو سواحل أفريقيا الشرقية خلال القرون الستة الأولى للهجرة. وبناءً على هذا النشاط الكبير شهد الأرخبيل تعددًا كبيرًا في عناصر سكانه، وهذا ما سوف نعرض له في النقطة التالية.

رابعًا- عناصر السكان في مجتمع أرخبيل لامو.

تشكّل مجتمع الأرخبيل من عناصر عد، وهذا أمر طبيعي حتمته الظروف الاقتصادية، والسياسية، والدينية التي فرضت على أعداد كبيرة من السكان في مناطق مختلف من المحيط الهندي الهجرة والاستقرار في غير أوطانهم. ويحاول الباحث من خلال هذه النقطة رصد عناصر السكان في المجتمع وتدرجها الطبقي، وما جرى من تفاعل بينها، وكيف أثر ذلك على ثقافة المجتمع؟

وأما عن عناصر السكان فقد تكون المجتمع في الأرخبيل من عدة عناصر على النحو التالي:-

1- السكان الأصليون

كان الاستقرار الأول للوافدين نحو الساحل الشرقي لأفريقيا في الجزر المواجهة للساحل، وذلك حتى يسهل عليهم الدفاع عن أنفسهم إذا عرض لهم عارض من قبل السكان المحليين في الساحل، ولكن هذا لا يعني أن تلك الجزر التي استقر فيها الوافدون كانت خالية تمامًا من السكان. وتمثل جزيرة ماندا أحد جزر أرخبيل لامو النموذج الأمثل لذلك؛ إذ ثار الكثير من الجدل حول سكان تلك الجزيرة، وهل تمثل الهجرة أهمية كبيرة في تطورها؟ وهل تاريخ الجزيرة مرتبط بوصول المهاجرين إليها؟

(1) Chittick, N., Indian relations with East Africa before the arrival of the Portuguese, p. 118, 120-122.

لا شك أن الهجرات التي وصلت إلى الجزيرة واستقرت بها أثرت بشكل كبير في تطور مظاهر الحضارة فيها، ولكن في نفس الوقت لا يمكن أن نقول أن المنطقة كانت خالية تمامًا من السكان، بل كانت هناك بعض القبائل الأفريقية تقطن الجزيرة قبل قدوم المهاجرين، ولا تنفرد ماندا بذلك عن بقية جزر الأرخبيل؛ فقد كانت هناك قبائل أفريقية أخري تقيم في مدينة شانجا في جزيرة بات. ولكن كيف أن نفرق بين تلك العناصر؟ وهنا يمكن القول أن التفريق بين المهاجرين والسكان المحليين يكون اعتمادًا على عنصرين أساسيين هما اللغة والمعتقد. أما فيما يخص اللغة، فقد وجد أن بعض السكان كانوا يتحدثون لغة البانتو[1].

وأما فيما يخص المعتقد أو الدين، فتؤكد تقارير الحفائر الآثارية استمرار ممارسة السكان الأفارقة المعتقدات التقليدية؛ حيث عثر في بعض الملاجئ والكهوف الصخرية المنعزلة على أدوات ممارسة الطقوس المحلية، مثل التعاويذ، والأعلام الملونة، إذ عثر على عدد كبير منها بيضاء، وحمراء، و زرقاء، وسوداء، وبعضها ذات ألوان مختلطة، وهذه الأعلام كانت توضع على شاطىء البحر بحيث تلامس الماء عند ارتفاعه أثناء المد لتحقيق بعض المعتقدات التقليدية للسكان المحليين[2].

وكان من نتائج الحفائر الآثارية العثور على بوابات ضخمة في مناطق الغابات اكتشف أنها ترتبط بعشائر محددة قادمة من المناطق الداخلية نحو الساحل والجزر، وأسفلها عُثر على أوعية مدفونة عرفت لدي العشائر المحلية باسم أواني فنجو(Fingo) كانت تحوي السحر الخاص بكل عشيرة نقلوه معهم من شونجوايا(Shungwaya) الموطن الأصلي لتلك العشائر[3]. ويؤكد هذا على أنه رغم انتشار الإسلام على نطاق واسع في كل منطقة الساحل، إلا أن العناصر المحلية كان لا يزال بعضها يتمسك بالعقائد التقليدية.

(1) Chittick, N., Manda-Kenya's earliest tow, p. 8.

(2) Bita, C. The Role of the National Museum in MUCH Management and Regional Capacity Building: Current Research in Kenya. *Maritime and Underwater Cultural Heritage Management on the Historic and Arabian Trade Routes*, 2020, p. 105.

(3) Horton, M., Primitive Islam and architecture in East Africa, p. 105.

ويُعد أسلوب بناء المنازل نفسه على أثر واضح للعنصر المحلي؛ حيث جمعت بعض المنازل بين التأثيرات الوافدة من الداخل والخارج، فالمنازل ذات السقف المسطحة وإن حملت تأثيرات عربية، فإنها في الوقت نفسه تشبه في جانب منها المنازل المعروفة باسم تيمبي(Tembe) التي كانت منتشرة في سهول الماساي بتنزانيا[1]. وتمثل الأدلة الآثارية خير دليل على اتصال القبائل الأفريقية في الداخل بالمناطق الساحلية؛ حيث أثبتت نتائج الحفائر الآثارية أن بعض الفخار الذي عُثر عليه في بات ينتمي لمناطق الداخل الأفريقي[2]، هذا فضلًا عن التشابه بين بعض السفن من تشيبويني (Chibuene) في أقصى جنوب الساحل الشرقي لأفريقيا وأقدم السفن التي عُثر على آثارها في ماندا[3]. ويؤكد هذا على أن الساحل قد استقبل بعض الهجرات من الداخل الأفريقي[4].

وفضلاً عن ذلك تعطي لنا الحركة التجارية وتفاعل الأفارقة فيها بعدًا آخر عن وجود العنصر المحلي ومساهمته بشكل فاعل في حركة التجارة، فالعناصر الوافدة إلى شرق أفريقيا سواء من العرب أم غيرهم اقتصر وجودهم على الجزر المواجهة للساحل أو في الساحل نفسه، ولم يتوغلوا في المناطق الداخلية للحصول على السلع المطلوبة التي كان أبرزها العاج والذهب، وهنا يبرز دور القبائل الأفريقية، كما مثَّل زعماء القبائل الأفريقية الوسيط في العمل التجاري بين التجار وسكان الداخل الأفريقي، فنجد العرب على سبيل المثال يحصلون على الذهب والعاج في مقابل الخرز الذي يحصلون عليه من الهند[5].

---

(1) Ibid, p. 111.
(2) Wilson, T. H., & Omar, A. L., Op., Cit., p. 452.
(3) Robertshaw, P., Op., Cit., p.386.
(4) ورغم الطابع السلمي الذي تميزت به العلاقة بين المهاجرين من الداخل الأفريقي، وأولئك القادمين من خارجها، إلا أن حوادث التاريخ المحلي أو الشفاهي تثبت أن بعض تلك الهجرات الداخلية كانت تحمل طابعًا عدائيًا لسكان الجزر. ويؤكد ذلك القصة المشهورة المرتبطة بوصول عشيرة أبو بكر بن سالم إلى لامو في القرن 10هـ/16م، بناءً على طلب من حاكمها لصد هجوم قبائل الجالا على الجزيرة. انظر: Martin, B. G., Op., Cit., p. 453.
(5) جمال زكريا قاسم، مرجع سابق، 65.

ويقدم لنا تيشتك استنادًا إلى سجلات تاريخ بات مثالًا أكثر وضوحًا حول وجود العنصر المحلي ومساهمته الفاعلة في حركة التجارة ممثلًا في شعب ساني(Saney)، وهم من الجماعات التي تتحدث اللغة الكوشية هاجروا من المناطق الداخلية واستقروا بالساحل، ومارسوا حرفة الصيد، فكانوا هم المورد الرئيس للعاج الذي كان يمثل أحد السلع الرئيسة في حركة التجارة الخارجية للأرخبيل[1]. مما يؤكد على الدور الكبير للعنصر الأفريقي الذي اختلط بالوافدين من الخارج.

2- العرب:

كان الآسيويون هم أول الشعوب اتصالاً بشرقي أفريقيا، فأعتبر بعض الدارسين أن هذا الساحل استعمر لأول مرة من قبل آسيا؛ عندما أسس غير الأفارقة مجتمعات تجارية، ونشروا أفكارًا ثقافية جديدة بين السكان، أصبحت تعرف فيما بعد بالثقافة السواحلية. وكانت الجزر المقابلة لذلك الساحل هي المكان الأمثل الذي لجأ إليه الوافدون الجدد كمناطق آمنة من خطر القبائل الأفريقية على الساحل، ثم لم يلبث المهاجرون أن أقاموا اتصالاً فاعلاً مع الشعوب الأفريقية[2].

ويمثل العرب قمة الهرم الاجتماعي في لامو وغيرها من جزر الأرخبيل، ولا نقصد هنا أن العرب كانوا يمثلون عنصرًا متمايزًا في المجتمع، بل على العكس من ذلك فقد اندمجوا في أواسط السكان المحليين منذ أن قدموا إلى الساحل، وتزوجوا من النساء الأفريقيات، فكان من نتاج ذلك ظهور العنصر الأفرو-عربي الذي حقق سيطرة سياسية واجتماعية كبيرة، وذلك ليس في لامو وجزرها فحسب، وإنما في كل الساحل الشرقي لأفريقيا[3].

ولكن رغم ذلك لم يكن العرب الخلص أو المخلطين في مستوى اجتماعي واحد، وقد تحكم في ذلك المجال الاقتصادي الذي مارسوه، فالعرب الذين مارسوا العمل التجاري

(1) Chittick, N., A new look at the history of Pate, Pp. 382-383; See also: Chande, A., Review "The Pate Chronicle", Op., Cit., Pp. 616-619.

(2) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 201; Guennec-C., L, and Sophie M., Op., Cit., Pp. 67-68.

(3) Curtin, P. R., Op., Cit., p. 457.

كانوا في مكانة مرموقة داخل المجتمع، في حين نجد أن بعض العرب ولا سيما الحضارمة منهم كانوا في منزلة أقل؛ وذلك لأنهم عملوا منذ انتقالهم إلى جزر الأرخبيل في الرعي ثم في الزراعة، ولكن بمرور الوقت مارس بعضهم العمل التجاري وحققوا قدرًا معقولاً من الثروة، كما حل بعضهم محل التجار الهنود الذين غادروا الجزر للاستقرار في الساحل، فارتقي الحضارمة مع تغير انشطتهم الاقتصادية في أواسط المجتمع في لامو وغيرها من الجزر[1].

3- الفرس (الشيرازيون)

انتشرت في الساحل الشرقي لأفريقيا الكثير من الروايات حول الأصل الفارسي لبعض السكان، وذلك في إطار الثقافة السواحلية[2]، ولذا يُعد الفرس من أهم العناصر السكانية التي شاركت العرب الاستقرار في شرقي أفريقيا منذ وقت مبكر، وشابه الفرس العرب في اختلاطهم وتزاوجهم من السكان الأصليين، فأضحى لهم دور كبير في الحركة التجارية بين شرقي أفريقيا وعالم المحيط الهندي، بل بين الداخل الأفريقي نفسه وسواحل وجزر شرقي أفريقيا[3].

واشتهر الفرس في شرقي أفريقيا ككل بمصطلح "شيرازي" نسبة إلى مدينة شيراز الفارسية التي قِدم منها أكثر الهجرات الفارسية تأثيرًا في ذلك الإقليم، وورد هذا المصطلح على نحو موسع في التاريخ الشفاهي المحلي بداية من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي واستمر حتى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. ويرى بعض الباحثين استمرار ذلك المصطلح لما بعد هذا التاريخ[4].

---

(1) Loc, Cit.

(2) هذا فضلاً عن روايات أخرى حول الأصل العربي للسواحليين، وقوبلت تلك الروايات بنهج أفريقي جديد فيما بعد الاستعمار يؤكد على الأصول الأفريقية الخالصة للسواحليين. انظر: Wynne-Jones, S., & Fleisher, J., Op., Cit., Pp. 534-535

(3) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص45.

(4) وقد اثيرت منذ النصف الثاني من القرن العشرين العديد من الأفكار حول حقيقية الهجرة الشيرازية من عدمها إلى سواحل أفريقيا الشرقية. انظر:

ويرى كل من جينيك(Guennec) وصوفي(Sophie) أن الأدلة الآثارية تشير إلى تأثير قوي للشيرازيين في ساحل شرق أفريقيا، وخاصة في جزيرة كلوا، أما في جزر لامو فتأثيرهم ليس بذات القوة، كما يريان أن دورهم تعاظم في المناطق الداخلية؛ إذ أدى فقدانهم لسيادتهم السياسية إلى توغلهم في الداخل واختلاطهم بالسكان، فأضحوا يمثلون نسبة كبير من سكان البلدات الريفية التي تعد ظهيرًا مهمًا لمنطقة الساحل(1).

وارتبطت بالحضور الشيرازي في ساحل أفريقيا الشرقي إشكالية يدور فحوها حول سؤال رئيس هو، هل سبق الشيرازيون وجودًا وتأثيرًا العرب إلى ساحل شرق أفريقيا وجزره؟

وقد انحاز عدد من الباحثين في مطلع القرن العشرين إلى هذه الفكرة، بل وحاولوا إثباتها اعتمادًا على الأدلة الأثارية، فأشاروا إلى أنهم ميزوا تأثيرات معمارية شيرازية سابقة دخلت عليها تأثيرات عربية لاحقة في مواقع عدة من ساحل شرق أفريقيا بينها جزيرتي بات وماندا من أرخبيل لامو. هذا فضلاً عن تأثيرات شيرازية أخري في فن نحت الخشب، ونسيج القطن(2).

وظلت تلك الفكرة عن الوجود الشيرازي في ساحل شرق أفريقيا وجزره سائدة حتى منتصف ذلك القرن حين قام كيركمان بدراسة أثارية دقيقة لعدد من المواقع في المنطقة، ورأى أن الفكرة السالفة لا يمكن أن تستمر؛ حيث إن العمارة العربية في الساحل وجزره تطورت بشكل طبيعي أولاً، ودعم فكرته بأنه لا توجد أدلة على استخدام اللغة الفارسية، ولا سيادة العادات والتقاليد الفارسية، كما لم يتم العثور على نقوش فارسية في شرقي أفريقيا، وأن جل التأثيرات التي حدثت في ساحل شرق أفريقيا وجزره كان وراءها العرب، فحتي السفن التجارية الشيرازية كان يقودها ربابنة عرب، ويعمل عليها تجار عرب، مما

- Allen, J., The" Shirazi" problem in East African coastal history, Mitteilungen zur Kulturkunde, Bd. 28, FROM ZINJ TO ZANZIBAR: Studies in History, Trade and Society on the Eastern Coast of Africa., 1982, Pp. 9-27.

(1) Guennec, C., L, and Sophie M., Op., Cit., p. 64.

(2) Allen, J., Op., Cit., p. 9.

يعني أن وصول الشيرازيين إلى هذه المنطقة كان من خلال العرب، كما أن نسبة كبيرة من سكان الإقليم الغربي لفارس المطل على الخليج كانوا من العرب[1].

ويرى الباحث في ضوء ذلك أن الهجرة الشيرازية وإن كنا لا ننكر حدوثها فإن نسبه كبيرة ممن هاجروا فيها أو في أعقابها كانو عربًا. كما أنها توقفت ولم تعقبها هجرات أخرى، هذا فضلًا عن استقرار الشيرازيون في منطقة محددة من الساحل هي كلوة التي زاحمهم فيه العرب أيضًا.

4- الهنود

عرف الهنود منطقة الساحل الشرقي لأفريقيا والجزر المواجهة له منذ وقت مبكر، فمعرفتهم بأفريقيا قديمة قدم التجارة المعتمدة على الرياح الموسمية، ولذا شارك الهنود العرب والفرس في النشاط التجاري، وكذلك الاستيطان سواء في جزر لامو أم في غيرها من مناطق الساحل الشرقي لأفريقيا. ويرجع تاريخ وصول هجرات من تلك الجهات إلى جزر شرقي أفريقيا ذات تأثير كبير للقرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[2].

وكانت أهم هجرات الهنود نحو شرقي أفريقيا من مدن ثلاث هي الأكثر ارتباطًا بأفريقيا، أولها مدينة **كجرات**[3]، فقد سلكك الكجراتيون طريقهم إلى أفريقيا لممارسة التجارة والحصول على سلعها القيمة، وخاصة الذهب والعاج، والحديد[4]، بالإضافة إلى

(1) Ibid., Pp. 9-11.

(2) ريتشارد هول، مرجع سابق، ص49-50.

(3) تقع في جنوب غرب الهند وعرفت أيضًا باسم جوجورات(Gujurat)، وقد طغى اسمها على الإقليم كله الذي ضم الكثير من المراكز التجارية، توافرت بها العديد من السلع المهمة مثل الفلفل، والزنجبيل، والقطن، والنيلة(التي تستخدم للصباغة)، هذا فضلًا عن الجلود جيدة الدباغة لمختلف الحيوانات. وقد أدى ذلك لارتباطها التجاري بمختلف مناطق المحيط الهندي. افتتحها المسلمون في عهد الدولة الغورية في القرن 7هـ/13م انظر: مجهول، السلوة، مصدر سابق، ص62؛ رحلات ماركوبولو، ج3، ص73-74؛ أبو المعالي أطهر المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، دار الأنصار، القاهرة، 1398هـ، جـ1، ص37.

(4) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص47، 52.

خشب الصندل الأصفر[1]. وتبع أهل كجرات في هذا السبيل سكان مدينة **الديبل**[2] التي فضل بعض سكانها الاستقرار الدائم في شرقي أفريقيا، ولكن طبيعة عمل الديابلة كانت مختلفة عن الكجراتيين؛ فاستقرارهم في الجزر والسواحل الأفريقية مكنهم من العمل في الصيرفة[3]، كما استؤجر بعضهم كملاحين لديهم خبرات بالسواحل الأفريقية ومسالكها[4]. ولما قدم البرتغاليون إلى شرقي أفريقيا في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي أكدوا على وجود بحارة من **كمباي**[5] بالهند مقيمين في ساحل شرقي أفريقيا والجزر المواجهة له[6]. ويؤكد على طول اتصال الهنود بشرقي أفريقيا قول

(1) البيروني، مصدر سابق، ص169.

(2) الدَّيْبُل أو دَيْبُل أو الدَّيْبُلان أو ذيبل مدينة تقع على الضفة الشرقية لنهر السند ورغم فقرها في الجانب الزراعي فقد عظم أمرها وتواردت أخبارها كواحدة من أهم المراكز التجارية. انظر: أبن حوقل، المسالك والممالك، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص274–276، 281–282؛ البكري، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945، جـ2، ص569. وللمزيد من المعلومات عن نشاط الديبل التجاري راجع: فيصل سيد طه، النشاط التجاري في مدينة الديبل في عصر الدولة الهبَّارية(220–416هـ/855–1025م)، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2011، ص220–227. وعرف الديابلة في الروايات الشفوية لشرق أفريقيا باسم الديبولي أو ديبا، أو ديبال ثاتا، وتعددت الروايات التي تشير إلى المناطق التي أتوا منها، فقيل أن اسمها ديبول، وقيل بانبهور أو بانبور. للمزيد راجع:

- Horton, M, Artisans, communities, and commodities, p. 63.

(3) فرنان بودل، الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر، ترجمة مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، جـ2، ص147–150.

(4) دارت حول مشاركة الهنود كملاحين وربابنة في المحيط الهندي الكثير من المناقشات، وافترقت الأراء إلى رأيين، يرى أولهما عدم مشاركتهم أو بروز أسماء لملاحين هنود في مجال الملاحة في المحيط الهندي، بينما يميل الرأي الآخر إلى مساهمتهم كغيرهم من سكان المحيط في حركة الملاحة والتجارة بين شواطئه. للمزيد انظر: شوقي عبد القوي عثمان، ص49–52.

(5) تقع في شمال شرق الهند، وعرفت باسم أيضًا باسم ممباي وكامبايا، وتوافرت فيها الكثير من السلع التجارية مثل الأقمشة القطنية، والنيلة، والجلود التي غالى أهل كمباي في أسعارها لجودتها، وقد صدرت على وجه الخصوص إلى بلاد العرب. راجع رحلات ماركوبولو، مرجع سابق، ج3، ص75.

(6) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص47–48. وكان أهل كمباي قد فتحوا خطًا ملاحيًا مباشرًا بين بلادهم ومدينتي ممبسة ومالندي تحديدًا للتجارة في الحديد، حيث اشتهرت المدينتان باستخراج أهلهيما لمعدن الحديد. الإدريسي، مصدر سابق، 59؛ الحميري، مصدر سابق، ص545، 552.

البيروني المتوفي عام(440هـ/1048م) في عقيد أهل الساحل وجزره: "...أنهم يعتنقون عقيدة الهنود"[1].

وتشير التقاليد الشفهية لشرق أفريقيا إلى جماعة هندية أخري عرفت باسم دايبوت، وصلوا إلى الساحل الشرقي لأفريقيا[2] وانتشروا في عدة مناطق، وذلك قبل القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد. أسهموا بنشاط كبير في الأعمال المالية لتفوقهم في هذا الشأن[3].

وبالنسبة لأرخبيل لامو مارس الهنود العمل التجاري بين بلادهم والمنطقة لفترة طويلة، قبل أن يستقر بعضهم في لامو التي كونوا فيها جالية كبيرة، ولذا تعددت أوجه النشاط الاقتصادي لهم، فإلى جانب التجارة امتلك بعضهم مساحات واسعة من الأرض الزراعية، وأعدادًا كبيرة من رؤوس الماشية، مما يعني ممارستهم لأنشطة الزراعة والرعي. ورغم ذلك النشاط الكبير للهنود في لامو وغيرها من الجزر، إلا أنهم غادروا تلك الجزر وانتقلوا للاستقرار في السواحل. وبعد الانتقال إلى الساحل ركزوا على العمل التجاري دون غيره من الأنشطة الاقتصادية[4]. ولكن هذا لا يعني أن الهنود تركوا جزر أرخبيل لامو بالكلية، وإنما ظل الهنود مستقرين كجماعة مميزة بثرائها في منطقة كيبونجاني في لامو على أعتبار أنها عاصمة للأرخبيل[5].

ورغم تعدد الجماعات الهندية في شرق أفريقيا عامة وفي أرخبيل لامو خاصة إلا أن تأثيرهم الثقافي كان ضعيفًا إذا ما قيس بتأثير غيرهم من الجماعات؛ ويبرز ذلك في دليلين اثنين أولهما اجتماعيًا، إذا لم يتزاوج الهنود من غيرهم إلا في حالات قليلة، وكان الديابلة هم أبرز الهنود الذين تزاوجوا وتفاعلوا مع السكان الأصليين في شرق أبريقيا، وبالنسبة لأرخبيل لامو كانت منطقة كيوايو في شمال لامو أكثر المناطق التي استقروا

(1) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة، ص169.

(2) Chittick, N., Indian relations with East Africa before the arrival of the Portuguese, 119.

(3) ويرجح أنهم ينتمون إلى قبيلة دابيوك الهندية التي تسكن في ميناء ديبول الكبير على أحد فروع نهر السند. Loc., Cit.

(4) Curtin, P. R., Op., Cit., p. 457.

(5) Ghaidan U., Lamu: A Case Study of the Swahili Town, p. 85.

فيها، غير أن استقرارهم فيها لم يدم طويلًا؛ إذ انتقلوا منها إلى مناطق أخرى في الساحل كان أبرزها كلوا[1].

وأما الدليل الثاني لغويًا، فالهنود احتفظوا بلغتهم الخاصة، والمفردات الهندية القليلة في اللغة السواحلية جاء جلها عن طريق العرب الذين اختلطوا بالهنود وعرفوا لغتهم قبل التلاقي معهم على الأرض الأفريقية[2].

5- الصينيون

اعتمد الصينيون في معرفتهم بسواحل أفريقيا الشرقية على التجار العرب الذين يمثلون العنصر الرئيس في حركة التجارة بالمحيط الهندي[3]، كما أن معرفتهم بالأفارقة بدأت على الأراضي الصينية قبل الانتقال إلى أفريقيا. وهنا يمكن أن نعتمد على المصادر الأدبية والوثائق الصينية التي تعبر عن معرفة الصينيين بالأفارقة منذ وقت مبكر، حيث وردت في تلك السجلات الكثير من المعلومات عن سواحل أفريقيا الشرقية، ولا سيما عن السكان، الذين غلبت عليهم الخصائص البربرية بحسب المصادر الصينية، مثل شراسة ووحشية الرجال، وعري النساء، وقلة الأخلاق، وهذه الصورة الذهنية بُنيت على أن من وصل من الأفارقة إلى الصين كانوا رجالاً ونساءً من العبيد الذين حملوا العديد من الأسماء مثل، الخدم السود، والعبيد المتوحشين، والخدم البرابرة، وكلها تشير إلى نظرة عنصرية تجاه الأفارقة[4].

وأما وصول الصينيين إلى السواحل الشرقية لأفريقيا فكان بعد ظهور الإسلام بعدة قرون، غير أن وجودهم في الجزر والساحل الأفريقي لم يتسم بالإستمرارية، ويؤكد على الوجود الصيني في المنطقة اللقى الآثارية التي تضمنت إلى جانب السلع نحو 240

(1)Horton, M, Artisans, communities, and commodities: Medieval exchanges between northwestern India and East Africa, Pp. 63-64.

(2) Chittick, N., Indian relations with East Africa before the arrival of the Portuguese, p.125.

(3) Shen, J., New thoughts on the use of Chinese documents in the reconstruction of early Swahili history." *History in Africa*, Vol. 22, 1995, p. 349.

(4) Shen, J., Op., Cit., Pp. 354-356.

قطعة من العملة الصينية[1]، عُثر عليها متفرقة في عدة مناطق. ويرجع تاريخ تلك المسكوكات إلى عصر أباطرة أسرة يانج(201–294هـ/816–906م)، ويمتد إلى فترة حكم أسرة سونج(349–669هـ–960–1270م)، مما يكشف عن مدى قدم وقوة الاتصال بين الصين وشرقي أفريقيا[2].

ومن الأدلة التي تؤكد الوجود الصيني في جزر الأرخبيل المقابر؛ حيث عثر على مقبرتين كان من بينهما مقبرة سيئة البناء تحمل بعض الشواهد التي استرعت انتباه الباحثين في وكالة أنباء الصين(شنخوا)، فأجروا عليها بعض الدراسات[3]، وأنتهوا إلى أنها مقابر صينية غير أن تاريخها يرجع تاريخها إلى بدايات القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد [4]. مما يؤكد على تزايد الوجود الصيني في المنطقة منذ

(1) استخدم الصينيون نوعان من العملة، إحداها صنعت من الكاغد، وكانت في حجم كف اليد مطبوع عليها شعار القان(الإمبراطور الصيني)، والثانية هي العملة المعدنية، ورغم قدمها إلا أن استخدامها شهد رواجًا كبيرًا في عالم المحيط الهندي خلال القرن السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي. انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، جـ3، ص128، 130–131.

(2) شوقي عبد القوي عثمان، مرجع سابق، ص53–55. وكان عهد أسرتي يانج وسونج من أهم فترات الاتصال الخارجي عبر البحر في الصين؛ وذلك بفضل معرفة الصينيون بوسائل الملاحة الحديثة، ولا سيما البوصلة، كما أخذوا في رسم واستخدام الخرائط. وقد مكنهم ذلك من الإبحار بعيدًا عن السواحل في عمق المحيط، والوصول إلى وجهتهم المقصودة بشكل مباشر، وكان الساحل الشرقي لأفريقيا أحد أهم تلك المقاصد. انظر: 司徒山吉和徐桂岭，同上，第 631–632 页。

(3) مع إعلان الصين لمبادرة **الحزام والطريق(The Belt and Road)** عام 2013 بدأت تقدم المزيد من الدعم للأبحاث الأثرية التي تصب في اتجاه تعزيز العلاقات الصينية مع العالم، وحظي الساحل الشرقي لأفريقيا بنصيب وافر من الأبحاث، ولا سيما منذ عام 1999؛ عندما ظهرت أخبار الربان الصيني تشينج هي(Cheng He) 1371–1433 ورحلاته إلى شرق أفريقيا. انظر: 第 司徒尚纪, and 许桂灵. 628-629.页。

(4) Bita, C., Ancient Afro-Asia links. Evidence from a maritime perspective., p. 6.
وتؤكد الدراسات الحديثة ظهور جيل من السكان يدعون الانحدار من أصول صينية. والراجح أن بعض السفن الصينية التي قصدت المنطقة قد تعرضت للغرق، فلجأ الناجون من بحارتها للعيش بين السكان المحليين، وتزاوجوا معهم، فنتج عن ذلك السلالة سالفة الذكر، وهو ما أكدته تحليلات الحامض النووي،

ذلك التاريخ، ورغم هذه الأدلة التي تؤكد وجود عناصر صينية بين السكان في فترة متأخرة من العصر الإسلامي يظل الوجود الصيني المبكر في جزر لامو، وساحل شرق أفريقيا في حاجة إلى المزيد من الدراسة، ولا سيما في ظل صمت المصادر العربية عن الوجود الصيني في المنطقة[1].

وتبع هذا التنوع السكاني الكبير الذي حظي به أرخبيل لامو مؤثرات اجتماعية وثقافية كبيرة على صعيد التدرج الطبقي للسكان، والتفاعل الثقافي بين تلك العناصر وبعضها البعض، وبينها وبين العنصر المحلي، مما كان له أثره في ظهور ثقافة جديدة تحمل في طياتها العديد من المؤثرات سواء الداخلية أم الخارجية على نحو ما سنناقش في النقطة التالية.

خامسًا- التدرج الطبقي والتفاعل الثقافي في مجتمع أرخبيل لامو.

ساد مجتمع أرخبيل لامو كغيره من المجتمعات تدرجًا طبقيًا، ولقلة المعلومات المصدرية التي تفيد في التعرف على طبقات المجتمع، فإن الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في جزر لامو تفيد بشكل كبير في رصد طبقاته.

كشفت الحفائر الأثرية التي أجريت في مختلف جزر الأرخبيل عن الكثير من المباني، ومن خلال تحليل نمط بناء المساكن تحديدًا نجد أنها تعبر عن التدرج الطبقي للمجتمع، ففي جزيرة ماندا على سبيل المثال وجدت المنازل مقسمة إلى ثلاثة أنماط بحسب سعة المنزل وتقسيمه الداخلي، الأول منها مكون من ثلاث غرف في المنطقة المركزية للمدينة بالقرب من المسجد، ثم يقل عدد الغرف إلى غرفتين وينتهي بغرفة واحد في الأطراف، هذا فضلاً عن المساكن التي شيدت بالطين والقش[2].

والسمات الجسدية للذين خضعوا للفحص من السكان، مما أكد أن الصلات بين الصين وشرقي أفريقيا وفقًا للأدلة الأثرية في البر وتحت الماء وصلت أوجها في عهد أسرة مينج(770-1054هـ/1368-1644م). انظر:

- Bita, C., Ancient Afro-Asia links, p. 6.; Storozum, M. J., & Yuqi Li., Chinese archaeology goes abroad." *Archaeologies, Journal of the World Archaeological Congress*, Vol. 16. No. 2, 2020, p. 293.

(1) Shen, J., Op., Cit., p.353.

(2) وظلت هذه الأنماط من المساكن سائدة طوال العصر الإسلامي، وكذلك خلال العصر الحديث، وعلى أساسها صنف الأوروبيون سكان مجتمع لامو إلى قسمين، الأول منهما هم سكان المباني الحجرية وما

وبناء على ذلك نستدل أن هناك أنماط ثلاث للسكان تدل على التدرج الطبقي للمجتمع. الأولى وتمثل علية القوم وكبار التجار، الذين احتلت منازلهم قلب المدينة، ويلي هذه الطبقة طبقة وسطى من صغار التجار وأرباب الصنائع أحاطت منازلهم بمنازل الأثرياء، ثم طبقة العامة الذين تتكون منازلهم من غرفة واحدة، والذين سكنوا في أطراف المدينة على مقربة من المنطقة المفتوحة التي كانت تقام بها الأسواق أو تستخدم في تخزين البضائع لقربها من الميناء، ومن ثمَّ الحاجة إلى الكثير من الأيدي العاملة[1]. ويمثل **العبيد** الطبقة الدنيا في مجتمع جزر لامو، وقد عملوا في المزارع، وفي الرعي، وفي غيرهما من الأعمال التي تطلبت جهدًا بدنيًا كبيرًا[2].

وتؤكد الدراسات الحديثة كذلك على التمايز الاجتماعي في لامو وغيرها من الجزر، وتشير إلى أن هذا التمايز كما يظهر في مساحة المنازل يظهر أيضًا في مواد البناء، ومناطق تجمعاتها، فبينما عاش العبيد في مساكن بدائية للغاية بعضها من الطين، والآخر عبارة عن أكواخ من عيدان البوص، كما كانت منازلهم أو تجمعاتهم بمعزل عن منازل غيرهم من السكان. وعلى الجانب الآخر عاش العرب أو الأفرو–عرب في منازل مبنية بالحجارة، ومكونة من طابق أو طابقين. أما الهنود فقد عاشوا في بيوت تشبه بيوت العرب أو في المنازل التي أخلاها العرب إلى غيرها الأكثر تطورًا، هذا فضلاً عن أنهم اشتروا بعض تلك المنازل من العرب[3].

كما كان مكان الاستقرار من بين عناصر التمايز بين طبقات المجتمع، ففي الوقت الذي تركزت فيه منازل العبيد في المناطق الجنوبية من لامو على سبيل المثال، فإن منازل العرب والهنود وغيرهما تركزت في المناطق الشمالية والوسطى من نفس الجزيرة[4].

يتبع ذلك من وضع اقتصادي مميز، وأما الثاني فهم سكان مباني الطين والقش، وما هم عليه من أوضاع اقتصادية متواضعة، ولكن رغم ذلك لم تكن ثمة حواجز في انتقال السكان بين النمطين. انظر: Hecht, E. D., Harar and Lamu., Op., Cit, Pp.4-6.

(1) Wilson, T. H., Spatial analysis and settlement patterns on the East African coast, p. 4, 6.
(2) Curtin, P. R., Op., Cit., p. 457.
(3) Loc, Cit.
(4) Ibid, p. 458.

ورغم هذا التمايز الطبقي إلا أن الدراسات الأركيولوجية الحديثة أثبتت أن العبيد في مجتمع أرخبيل لامو عاشوا في مستويين مختلفين، الأول منهما للعبيد الذين كانوا يعملون في المزارع وغيرها من الحرف، فكانت أوضاعهم على النحو سالف الذكر. وأما غيرهم ممن كانوا يعملون في المنازل، فقد عاشوا في نفس منازل سادتهم، فمنازل لامو وبات على سبيل المثال كانت في الغالب مكونة من طابقين خصص الطابق السفلي منهما للعبيد، في حين عاش السيد وعائلته في الطابق العلوي، فكانت أوضاعهم أحسن حالاً من أخوانهم الذين يعملون في المزارع وغيرها. كما أن أوضاع النساء اللاتي يعملن في المنازل كانت مختلفة تمامًا عن حياة بقية العبيد؛ إذ يتاح لهن أن يتحررن عندما تلدن لسادتهن، وهنا إما يعشن في الطابق العلوي من المنزل مع بقية أفراد العائلة، وإما ينتقلن إلى منازل منفصله يوفرها السيد لهن[1].

وفي ظل تعدد عناصر المجتمع وتدرج طبقاته على النحو السالف وجب أن نجيب على السؤال، كيف أثر ذلك على ثقافة المجتمع؟

إن هذه البنية الاجتماعية متعددة الأطياف في أرخبيل لامو أثرت بشكل كبير في ثقافة المجتمع، فبرغم انتشار الإسلام مبكرًا في المنطقة، إلا أن الثقافة المادية التي عُثر عليها تعبر عن وجود الكثير من العادات والتقاليد التي تنافي الشريعة الإسلامية، كوجود السحر وما صحبه من استخدام التمائم، والتضحية الحيوانية، وبعض المعتقدات الخاصة بالأرواح ومدي تأثيرها على الأحياء، ولا سيما الأطفال، وعادات أخري مرتبطة بالموتى والمقابر وما تضم من مقتنيات(أساس جنائزي)[2].

ويري الباحث أن هذا يعبر عن جانب من الثقافة المحلية التي اختلطت ببعض الثقافات الوافدة من المحيط الهندي، ولا سيما من مناطق الهند والشرق الأقصى، ويرجح أنها أخذت حظها من الإنتشار في كل شرق أفريقيا، ولفترة زمنية ليست بالقصيرة.

(1) Donley, L. W., Op., Cit., p. 184.
(2) Loc., Cit.

ويؤكد ما ذهب إليه الباحث إشارة مصدرية دقيقة للبيروتي المتوفى عام(440هـ/1048م) في وصف بعض أهل بر الزنج فقال: "... قِصارُ القدود على صُور الأتراك ودين الهنود"[1].

ورغم ذلك حقق السكان في أرخبيل لامو قدرًا كبيرًا من التفاعل الثقافي والتمازج البشري، فانتجوا الثقافة السواحلية التي تستقي جانبًا كبيرًا من أسسها الأولى من الحضارة الإسلامية[2]، والتي نلمس تمايزها الشديد مع ثقافة الداخل الأفريقي. وقد ظهر ذلك جليًا خلال العصر الإسلامي الذي أضحى فيه الساحل دائم الاتصال بالمحيط والتيارات الثقافية الوافدة منه، في حين اقتصر الاتصال بالداخل على مجرد الحصول على السلع التجارية التي دخلت في إطار التبادل التجاري عبر المحيط[3].

والنتيجة التي وصل إليها الباحث هنا أن المجتمع في أرخبيل لامو رغم هذا التمازج الثقافي بين العديد من الثقافات الوافدة كان في مجمله مجتمعًا إسلاميًا محافظًا على مبادىء الشريعة الإسلامية.

---

(1) تحقيق ما للهند، مصدر سابق، ص169. ذكر البيروني ذلك في وصفه للقمريين أهل جزر القمر، ولكن ما دفع الباحث للقول بوصول عقائد الهنود إلى أرخبيل لامو أن الهنود عرفوا الساحل كله وخالطوا سكانه، فلا يستبعد أن تنتشر عقائدهم في لامو. وما يؤكد ذلك استفاضة البيروني نفسه في وصفه بقاء الكثير من تلك العقائد، وظهور أنصارها من حين لآخر حتي بعد انتشار الإسلام. للمزيد راجع: الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق برويزاذ كائي، همدان، 1378هـ، ص246–262.

(2) Nooteboom, C., Reviewed Work(s): Sailing from Lamu by A. H. J. PRINS, *Bijdragen to0t de Taal-, Land- en Volkenkunde*, Deel 125, 1ste Afl, 1969, p. 184, 189.

وهذا الأثر الكبير للحضارة الإسلامية إنما جاء بفضل الاتصالات المباشرة والمكثفة المبكرة بين شعوب المنطقة والعرب من خلال التجارة أولاً، ثم الهجرة والاستقرار الدائم للعرب في الجزر والساحل الأفريقي، وأدلة ذلك التأثير كثيرة، وأهمها الأدلة المادية كعمارة المساجد، وكذلك المقابر الإسلامية، فضلاً عن التغيرات الملحوظة في أنماط الفخار المحلي. راجع:.Pouwels, R. L., Op., Cit., Pp. 246-247

(3) Chittick N., East Africa and the Orient: ports and trade before the arrival of the Portuguese, *in historical relations across the Indian Ocean*, Report and papers of the meeting of experts organized by Unesco at Port Louis, Mauritius, from 15 to 19 July 1974. p13.

ويُظهر ما ذهب إليه الباحث شيوع الثقافة الإسلامية، والالتزام بتعاليم وفروض الإسلام، ويُعبر عن ذلك كثرة المساجد في مختلف جزر الأرخبيل، وكذلك إحياء السكان لكثير من الأعياد والاحتفالات الإسلامية، وفي مقدمتها عيدي الفطر والأضحى. غير أن الإسلام لم يكن مجرد عبادات تؤدى، بل صار ثقافة متكاملة شملت كافة شؤون حياتهم(1).

والإسلام هنا فضلًا عن كونه عقيدة فإنه في ذات الوقت مثَّل نظامًا كاملًا قدم لأتبعه مجموعة من الأخلاق والقواعد والنظم في مختلف جوانب الحياة يستطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاها(2)، فامتثلوا تعاليمه في كافة شؤونهم اقتصادية كانت أم اجتماعية مثل المعاملات، والزواج، والطلاق، والمواريث(3)، وكذلك في المأكل، والمشرب، والملبس. فامتنعوا عن أكل لحم الخنزير، كما امتنعوا عن شرب الخمور(4). وأما الملبس، فنجد النساء في مجتمع الأرخبيل يلتزمن اللباس الشرعي الذي يغطي جميع جسد المرأة فيما سمي عندهم بالبوبوي(Buibiu) والمتانديو(Mtandio)، بل إن بعضهن كن يرتدين غطاء الوجه(النقاب)(5).

ويؤكد ذلك أيضًا التبجيل الكبير للأشراف بين طبقات المجتمع في الأرخبيل احترامًا للنسب الشريف الذي ينتمون إليه، وكذلك تقديرًا للدور الكبير الذي بذلوه في نشر الإسلام في المنطقة، وقد انسحب ذلك التبجيل على كل من ينتسب لآل البيت حتى أولئك الذين قدموا في وقت متأخر أضحت لهم قيمة كبيرة بين طبقات المجتمع(6)، كما

(1) عبد ارحمن زكي، مرجع سابق، ص46.

(2) للمزيد راجع: فرنان بردول، مرجع سابق، ص308، 358، 385–386؛ جـ2، ص722–737.

(3) Le Guennec-Coppens, F., Social and cultural integration: a case study of the East African Hadramis. *Journal of the International African Institute*, Vol.59, No.2, 1989, p. 191.

(4) Olali, T., Alawiyya Sufism and the Sufi: Diffusion and Counter-Diffusion of Swahili Islamic Mysticism in the Lamu Archipelago, Kenya. *International Journal of Humanities, Social Sciences and Education*, Vol.1. No.12, 2014, Pp. 76-77.

(5) Le Guennec-Coppens, Op., Cit., p. 191.

(6) Ibid, p. 186,188.

تمتعوا برعاية الحكام الذين أغدقوا عليهم العطايا، وعهدوا إلى بعضهم بالوظائف الدينية، كما أشرف آخرون على التعليم وكبرى المساجد في الأرخبيل[1].

وهنا يمكن القول إن انتشار الإسلام في الأرخبيل صاحبه الاهتمام بالتعليم، كأحد أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، فانتشرت الكتاتيب الملحقة بالمساجد أو المنازل قبل أن تصبح في بناء مستقل(مدرسة)، وكان الهدف منها بداية تعليم السكان مبادئ القراءة والكتابة حتي يتمكن الناس من ممارسة شعائر الإسلام، ولاسيما الصلاة وتلاوة القرآن، وأكد ذلك ما عُثر عليه من مخطوطات للقرآن الكريم في لامو، وسيو[2] يرجح أنها كانت تستخدم في التعليم(تعليم القراءات)[3]. كما تُظهر تلك المخطوطات من حيث الخطوط والزخارف المستخدمة في كتابتها التأثيرات الخارجية، ولا سيما العربية التي استقبلها الأرخبيل. وعلى هذا النحو غدت لامو هي مركز الثقافة الإسلامية التي انتشرت في شرقي أفريقيا من الساحل إلى الداخل، ومن ثمَّ ظهرت الثقافة السواحلية الجامعة لكافة المؤثرات المحلية والوافدة[4].

ويمكن أن نلمس ذلك في وعاء تلك الثقافة، وهي اللغة، فاختلاط العرب بغيرهم من العناصر السكانية على الأرض الأفريقية أفرز الثقافة السواحلية، ولغتها التي أخذت الكثير من مفرداتها من لغات عدة في المحيط الهندي، ولا سيما العربية، والفارسية، والهندية، إلا أن الحصيلة الأكبر من تلك الاقتباسات كانت من اللغة العربية، هذا فضلًا عن أنها كُتبت بالحرف العربي، فأشار موانيكي سيمون(Mwaniki Simon) أنه رغم التأثيرات الكثيرة التي تلقتها اللغة السواحلية يصعب فهمها فهمًا صحيحًا ما لم

(1) Olali, T., Op., Cit., p. 2.

(2) Ghali, W., "The Making of a Qurʾān Manuscript in Lamu Archipelago: The Indian Ocean Cross-cultural Influence, In Pradines, S, and Farouk T(ed). Muslim Cultures of the Indian Ocean: Diversity and Pluralism, Past and Present. Edinburgh University Press, 2023, Pp. 41-42.

(3) انظر شكل(7) يوضح استخدام تلك المخطوطات في تعليم القراءات. ورغم أن تلك النسخ نسخت في القرن 7هـ/13م وما بعده، غير أن من نسخوها اعتمدوا في كتابتها على النسخ القديمة التي كتبت منذ أواخر القرن 1هـ/7م، والتي لم يطل عمرها بسبب كثرة استخدامها، وطبيعة الظروف المناخية للمنطقة. انظر: Loc., Cit; p. 51

(4) Ghali, W., Pp. 47-48; 53.

تكن ملمًا باللغة العربية[1]، ومن ثمَّ عارض السواحليون في الكثير من إنتاجهم الأدبي العرب سواء في الشعر[2] أو النثر أو حتي في الأمثال[3]. وتتجلى التأثيرات العربية الإسلامية وتفاعل المجتمع معها في فن المشيري التقليدي(Classical Mashairi)[4] الذي حافظ من خلاله مجتمع الأرخبيل على تاريخهم وتراثهم المشترك[5].

ولم يكن التماذج الثقافي الذي تحقق في أرخبيل لامو مبنيًا فقط على أتباع تعاليم الشريعة الإسلامية، بل في ظهور الكثير من العادات والتقاليد المتوافقة مع ما كان يمارس في البلدان العربية والإسلامية التي قدم منها المهاجرين، وكان أشهر تلك العادات الأحتفال بالمولد النبوي الشريف، والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد عيدي الفطر والأضحى. وارتبط بهذا الاحتفال احتفالات أخري بالأولياء، وزيارة قبورهم والتبرك بها. وشهد المجتمع في لامو انقسامًا حول تلك الممارسات ما بين مؤيد ومعارض تمامًا كما حدث في مناطق أخري من العالم العربي والإسلامي[6].

---

(1) للمزيد حول اللغة السواحلية والأثر العربي وغير العربي فيها راجع:

- Mwaniki, S., *Mashairi: a surviving art of the Swahili Muslim peoples of Lamu Town, Kenya* (Master's thesis, Faculty of Humanities), University of Cape Town, 2021, Pp. 5-7.

(2) احتل الشعر مكانة كبيرة في الأدب السواحيلي في أرخبيل لامو، وقام على ذات الأسس التي قام عليها عند العرب، ومنها الوزن والقافية. كما اعتمد على التنافس بين الشعراء كما كان في جزيرة العرب، وفضلًا عن ذلك ناقش قضايا المجتمع، وسلوكيات أفراده وأسلوب حياتهم. للمزيد راجع:

- Assibi A. A., The Role of Islam in the political and Social perceptions of the Waswahili of Lamu, In Larsen, K(ed)., *Knowledge, renewal and religion: Repositioning and changing ideological and material circumstances among the Swahili on the East African coast*. Nordiska Afrikainstitutet, 2009. Pp. 237-239.

(3) Poblete, M. A. H., This is traditional, this is not Islamic": Perceiving some Swahili childbirth and child-rearing beliefs and practices in light of mila (custom) and dini (religion). Southern Illinois University at Carbondale, 2007. p. 78,81.

(4) هو نوع من الشعر التقليدي الذي ظهر في لامو وغيرها من المناطق التي تتحدث السواحلية، وكان متأثرًا بشكل كبير بالشعر العربي، ولا سيما في الزنن والقافية، وكانت موضوعاته في البداية تخص الذكر ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه تطور بمرور الوقت وصار يتناول كافة جوانب الحياة، كما أصبح يلقى بعضه في حفلات العرس. انظر: Mwaniki, S., Op., Cit., p. 1, 34.

(5) Ibid, p. 34, 48-50.

(6) Olali, T., Op., Cit., Pp. 1-6.

وكان من أشهر العادات التي تأصلت في مجتمع الأرخبيل ما هو مرتبطة بالولادة مثل دفن المشيمة بالمنزل أو بالقرب منه مع الفحم والملح والحديد، وبعض بذور النباتات، وكان دافعهم في ذلك هو دفع الأرواح الشريرة عن المولود. كما أن تركها للحشرات والحيوانات لتأكلها يتسبب للمولود في كثير من الأمراض، ولا سيما في المعدة. ومن العادات كذلك المرتبطة بالأولاد ما يسمى كنياجو (Kinyago) وهو ما يشبه خيال الظل، غير أن وظيفته في لامو مختلفة؛ إذا كان يوضع على أسطح المنازل لطرد البوم، لأنهم اعتقدوا أن هبوطها على المنزل يؤذي الأطفال[1]. ويرى الباحث أن هذا يعبر أصدق تعبير عن التفاعل والتماذج الثقافي الذي حدث في مجتمع أرخبيل لامو لدرجة أن الاحتفالات سواء شرعية أم غير شرعية انتقلت إلى أرخبيل لامو وتفاعل معها جميع السكان في إطار الثقافة السواحلية.

ويتضح من العرض السالف أن المحيط الهندي على اتساعه وترامي أطرافه لم يكن أداة فصل بين شعوبه، كما لم يكن مجرد طريقًا لتبادل السلع التجارية فحسب، وإنما صار طريقًا لتبادل الأفكار فكانت الروابط الحضارية بين الأراضي المطلة علية قوية ومتواصلة عن أي مكان آخر بهذا الحجم. ومن أدلة ذلك أتباع السكان في كثير من مناطقة ذات العادات الغذائية في المأكل والمشرب، بل حتى في أساليب البناء، ولا سيما بناء المساجد، وكذلك في المنتج الحضاري سواء الحجري منه أم المعدني[2].

وعلى هذا النحو يمكن القول أنه إذا كانت الروابط بين البلدان المشاطئة للمحيط الهندي، فمما لا شك فيه أن التمازج البشري، والتفاعل الحضاري بين سكانه الذين عاشوا في أرخبيل لامو قد تحقق على النحو الأمثل. ولم يكن العامل الثقافي وحده هو مرأة التفاعل والتطور الحضاري في أرخبيل لامو، بل كان العمران أيضًا أحد أهم الدلائل التي عكست ذلك التطور والتفاعل بين الإنسان على اختلاف أصله مع البيئة التي عاش فيها على نحو ما سنعرض فيما يلي.

(1) Poblete, M. A. H., Op., Cit., Pp. 206-207.
(2) Chittick, N., Indian relations with East Africa before the arrival of the Portuguese, p. 117.

سادسًا- مظاهر العمران في أرخبيل لامو.

تعددت مظاهر التأثير العمراني في أرخبيل لامو، فتأثر عمران الأرخبيل كثيرًا بالعوامل الثقافية والدينية الوافدة، وذلك بفضل اتصاله القديم بعالم المحيط الهندي(1)، وتلقيه أعدادًا كبيرة من المهاجرين، وعلى هذا النحو تؤكد نتائج الحفائر الآثارية على التحول الكبير في أساليب البناء؛ إذ تراجع استخدام الجص والطوب اللبن، وبدأ استخدام الحجر عوضًا عنه(2)، كما وجدت كميات كبيرة من الخزف الراجح أنها استخدمت في زخرفة المنازل آنذاك(3). ومما يؤكد هذا التطور العمراني العثور على بقايا الجص وقطع الخشب في الطبقات العميقة أسفل المباني الحجرية(4).

وعلى هذا النحو تركز الاستقرار في الجزر المواجهة للساحل، فاستقبل أرخبيل لامو وغيره من الجزر مؤثرات عمرانية من بلاد العرب، وفارس، والهند، وأندونيسيا والملايو(5). بدأت تلك المؤثرات تظهر وتتطور في أرخبيل لامو منذ بداية القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، ولا سيما في منطقتي شانجا وبات(6). غير أن أقوى تلك التأثيرات وأبرزها كان للمهاجرين العرب(7)؛ إذ تغلب على المدن في تلك الجزر الصبغة العربية الإسلامية، ويظهر ذلك بوضوح في تصاميم المنازل التي تطل على الشوارع الرئيسة في المدن، فقد صممت مداخلها بحيث يتوافر لها قدر كبير من الخصوصية، وهذه سمة إسلامية واضحة(8).

وعلى هذا النحو تميز ساحل شرقي أفريقيا والجزر المواجهة له بوفرة في العمارة الإسلامية؛ إذ أرسى المهاجرون أساليب معمارية جديدة قامت على أساس إنشاء المدن الكبيرة التي بدأت بالمواني‌ء ومن حولها المراكز العمرانية، فإلى جانب المجتمعات

(1) عبد الرحمن زكي، مرجع سابق، ص61.

(2) Robertshaw, P., Op., Cit., p.385.

(3) Wilson, T. H& Omar, A. L., Op., Cit., p. 546.

(4) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 205.

(5) Ghaidan, U., Swahili art of Lamu, p. 57.

(6) Breen, C, and Paul L., Archaeological approaches to East Africa's changing seascapes, *World Archaeology*, No.35. Vol.3, 2004, Pp. 475.

(7) Ghaidan U., Lamu: a case study of the Swahili town, p. 84.

(8) Ibid, p. 89.

القروية الصغيرة ظهرت المدن الكبيرة التي تعج بآلاف السكان، وتضم المئآت من المنازل الحجرية. غير أن تلك المدن الكبيرة وفقًا لتقارير الحفائر لم تظهر على الساحل الشرقي لأفريقيا قبل القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد[1].

ولا يختلف الباحث مع ما ذهبت إليه تلك التقارير، فالإستيطان الخارجي عربيًا كان أم غير عربي لم يقصد الساحل ذاته في بداية الأمر رغم الوجود المبكر، ولا سيما للعرب، وإنما قصد أولاً الجزر المواجهة للساحل، ومنها انتقل إليه بعد أن ألف سكانه وإلفهم السكان. ويؤكد ذلك أن الساحل قد تعرض لموجات متتالية من الهجرات الداخلية من منطقة البحيرات ولت وجهها شطر الساحل، واستقرت على طوله من جنوب ساحل بنادر شمالاً حتي أقصى منطقة سفالة جنوبًا[2].

وظهرت التأثيرات الخارجية في العمارة بداية في المنازل؛ إذ تبنى سكان الأرخبيل نموذج المنازل ذات الأفنية الداخلية الواسعة، وعلى جوانب الفناء توجد الأروقة المسقوفة بجذوع النخيل، ومن خلفها توجد الغرف وهو النمط المنتشر بكثرة في شبه الجزيرة العربية. وتؤكد نتائج الحفائر أن شانجا وماندا عرفتا المنازل متعددت الطوابق، يؤكد ذلك سماكة الجدران، وبخاصة الداخلية، ووجود مدخل يضم عدد من درجات السلالم. كما أشار الباحثون الأثاريون إلى أن نمط الحرق الموجود على أجزاء من الجص في المباني مسطحة الأسقف في ماندا يدل على تأثيرات إما قادمة من الداخل الأفريقي أو من شبه الجزيرة العربية، غير أنهم رجحوا قدومها من الخارج[3].

وتقدم نتائج تقارير الحفائر الآثارية عدة أدلة على تطور عمارة المنازل في جزر الأرخبيل؛ منها ظهور عدد من المباني الحجرية المتشابهة في الطرز المعمارية في مدينة تكوا(Takwa) بجزيرة ماندا، مما يكشف عن تجمعات سكانية ذات قرابة اجتماعية أو لعائلات ممتدة. ومنها أيضًا ظهور الأفنية أو الساحات المفتوحة أمام المنازل، وأكدت الأدلة التي عُثر عليها أن تلك الأفنية استخدمت في ممارسة الأنشطة

(1) Guennec-C. L, and Sophie M., Op., Cit., p. 62.
(2) Ibid, p. 61.
(3) Horton, M., Primitive Islam and architecture in East Africa, Op., Cit., Pp. 114-115.

اليومية للأسرة، كإعداد الطعام؛ إذ عُثر على آثار للمواقد، أو أنها استخدمت لعقد الاجتماعات الأسرية، أو إقامة الأسواق. وفضلاً عما سبق أكدت تقارير الحفائر على وجود مراحيض في عدد كبير من المنازل، ومما يؤكد على التطور العمراني الذي شهدته العمارة أن تلك المراحيض وجدت في بعض المنازل دون البعض الآخر. كما أن وضع المرحاض في المنازل جاء على نحو يوفر الخصوصية للغرف الخلفية للمنازل، ويحقق وصولاً سهلاً للمرحاض[1].

ورغم أن مدينة لامو نفسها تعكس النموذج الأمثل لتلك التأثيرات، فوصفت بأنها عربية الطابع بشوارعها الضيقة، وبيوتها ذات الجدران العالية بلا نوافذ خارجية، وإنما يدخلها الضوء عن طريق أفنية داخلية[2]. إلا أن تقارير الحفائر الآثارية أكدت أن هذا الأسلوب في البناء لا يقتصر على لامو وحدها بل شاع في غيرها من جزر الأرخبيل، ففي بات ظهرت أيضًا الظرز الوافدة في البناء، فالمنازل بُنيت بالحجارة بل كانت متقنة البناء، ولها شرفات إسلامية الظراز[3]، كما أنها تميزت بالمداخل على الطريقة الإسلامية، فالمدخل يؤدي إلى أفنية داخلية واسعة، وعلى جانب تلك الأفنية توجد بعض الغرف الواسعة، والتي تقسم في بعض النماذج إلى غرف أقل اتساعًا في الخلف[4]. هذا فضلاً عن وجود الأبواب المطعمة بالنحاس، الحمامات الملحقة بالمنازل، والمزودة بأنابيب للإمداد بالمياه، ومجاري لصرفها[5].

وتمثل المنازل التي عُثر عليها في ماندا المخطط الوحيد الكامل لأحد المنازل، وفيه تظهر التأثيرات العربية الإسلامية بوضوح؛ حيث يتكون المنزل من فناء مركزي، وعلى جوانبه توجد غرف المعيشة، وعلى الجانب المواجهة للبحر أسفل الفناء توجد صهاريج

(1) Wilson, T. H., Spatial analysis and settlement patterns on the East African coast, p. 207.

(2) عبد الرحمن زكي، مرجع سابق، ص46.

(3) انظر شكل (8) الذي يوضح نموذج شرفات المنازل ومدخلها في بات.

(4) Wilson, T. H& Omar, A. L., Op., Cit., p. 543.

(5) ريتشارد هول، مرجع سابق، ص64-65.

لتخزين المياه[1]، والمنزل مرتفع عن سطح البحر يؤدي إليه سلم من عدة درجات[2]. وتم مقارنة نتائج الحفائر في ماندا على مواقع أخري في أرخبيل لامو، منها بات وشانجا(Shanga)، وفي كلا الموقعين وجد أن الهياكل الأولى للمباني كانت من الخشب والطين ثم استبدلت بالطوب المحروق والحجارة وعلى هذا النحو يمكن أن نلمس التطور العمراني الذي شهدته جزر أرخبيل لامو، فمنذ ظهور تلك التقنيات في ماندا في في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي شاع استخدامها في جميع الجزر[3].

ووضح مع هذا التطور العمراني التأثيرات العربية والإسلامية، إذ تشير تقارير الحفائر إلى أن المنزل سالف الذكر قريب الشبه بالمنازل التي عُثر عليها في ميناء سيراف(Siraf) على الجانب االشرقي من الخليج العربي، كما أرجعت تاريخ هذا البناء للقرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد[4]. وهذا يعني أن التأثيرات الوافدة ولاسيما العربية الإسلامية قد وصلت أوجها خلال تلك الفترة.

ولم تكن التأثيرات العربية والإسلامية قاصرة على ما هو قادم من سيراف؛ فتؤكد تقارير الحفائر من خلال مناقشتها لنوعية الطوب المستخدم في البناء، فوجد أنه يتطابق من حيث الحجم والأبعاد، وكذلك اللون الذي كان يشتمل على نوعين أولهما أصفر مائل للخضرة، والآخر ورديًا مع ما كان مستخدمًا في مناطق أخري من بلاد العرب أهمها ميناء صُحارَ(Suhar)، وكذلك في بعض مناطق المحيط الهندي[5].

---

(1) وأطلق على هذا النوع من المنازل مسمى بيت الصهريج انظر خريطة(1).

(2) Chittick, N. "Manda-Kenya's earliest town, Pp. 6-7.

(3) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 205.

انظر شكل (9) تخطيط لمنازل ماندا، والصهاريج أسفل الفناء المركزي للمنزل.

(4) Chittick, N. "Manda-Kenya's earliest town, Pp. 6-7.

(5) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 202, 206.

ويمكن القول إن أسلوب البناء هذا كان مبدائه في صُحار سواء ذلك الذي كان موجودًا في سواحل أفريقيا الشرقية أم في مختلف سواحل المحيط الهندي، وهذا اعتمادًا على نشاط صحار التجاري الذي شمل معظم تلك المناطق، فصُحار من المدن العُمانية وثيقة الصلة بالتجارة البحرية، وتمتعت بأهمية خاصة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، وهي ذات الفترة التي شاع فيها أسلوب البناء

ورغم ما أكدته تقارير الحفائر من تشابه كبير بين المنازل في جزر لامو وكل من سيراف وصُحار، إلا أن التحليلات المعملية لعينات الطوب المستخدم في البناء أكدت أنه صنع محليًا وليس مجلوبًا من الخارج. كما أن المباني في جزر لامو اعتمدت كثيرًا على قطع من الشعاب المرجانية، وهذا ما لم يستخدم في مباني سيراف وصُحار، وفضلاً عن ذلك فإن تخطيط المنازل في تلك الجزر كان يختلف عن تخطيطه في جنوبي الجزيرة العربية، فالأخير لم يكن يحتوي على صهاريج لتخزين المياه، كما لم يشييد على منصات صخرية. ولذا فالمباني الأكثر شبهًا بمنازل جزر لامو تقع في جنوبي البحر الأحمر، ولا سيما في جزر دَهلك وبعض موانىء البحر الأحمر على الضفة الغربية مثل سواكن[1].

ويري الباحث أن تلك الاختلافات بين منازل سيراف وصُحار، ومنازل جزر أرخبيل لامو لا تعني ضعف تأثيرات العمارة الوافدة من جنوبي شبه الجزيرة العربية وبلاد فارس، بل على العكس توجد الكثير من التأثيرات أثبتتها تقارير الحفائر، وقد أسلفناها. أما إذا أردنا الحديث عن الاختلافات، فهي ترجع إلى أختلاف البيئة ومقوماتها، ومن ثَّم استغل المستوطنون الجدد ما توافر لديهم من مقومات لم تكن موجودة في بلادهم في بناء منشأتهم، فاستخدموا على سبيل المثال الشعاب المرجانية[2] في البناء. أما التشابه

بالطوب والحجارة في شرقي أفريقيا. للمزيد انظر: كوستا د. بى، دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عُمان، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، وزارة التراث القومى والثقافة، عُمان، 1400هـ/1980م، مج5، ص157.

(1) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, Pp. 205-206.

(2) وتؤكد المسوحات الأثرية تحت مياة المحيط توافر الشعاب المرجانية في المنطقة، ولا سيما في القنوات التي تربط بين جزر الأرخبيل، حيث ينمو المرجان بشل كبير مما ينتج عنه ضيق تلك المجاري، هذا فضلا عن قلة عمق تلك القنوات، مما تسبب في غرق العديد من السفن التي قصدت الجزر. انظر. Chittick, N. "Manda-Kenya's earliest town, p. 5; A new look at the history of Pate, p. 375; Bita, C., Maritime and underwater, p. 6.

ويري الباحث أن وجود الصخور المرجانية في مباني جزر لامو يؤكد على أمرين: الأول، هو أن غرق السفن المتكرر أمام موانيء لامو وغيرها كان ينذر بتراجع الحركة التجارية، فقام السكان بتطهير تلك القنوات

بين ما وجد في سواحل البحر الأحمر وسواحل أفريقيا الشرقية، فيعزى إلى العلاقات التجارية التي ربطت أولئك المهاجرين بتلك المناطق، فاستخدموا نفس مواد البناء ومزجوها بأساليب البناء في جنوبي شبه الجزيرة وبلاد فارس، فكانت المحصلة أن المباني الحجرية في أرخبيل لامو جمعت بين النمط العربي الإسلامي الوافد، والنمط الأفريقي المحلي.

وظهر ذلك التأثير أيضًا في كثرة المساجد وانتشارها في عدد كبير من المدن الرئيسة في أرخبيل لامو، ففي لامو على صغرها نحو أربعة وعشرين مسجدًا[1]. ورغم المبالغة في عدد المساجد إلا أن ذلك يعبر عن مدي انتشار الثقافة العربية الإسلامية في الجزيرة، وانخراط السكان في حياة دينية إسلامية خالصة، ففي شانجا وحدها عُثر على سبعة مساجد استخدم في بناء معظمها الخشب والطين، في حين بني إحداها بالحجارة. وتعبر المساجد عن قدم وتطور انتشار الإسلام في الجزيرة من حيث التدرج في بناء مساجد أكثر اتساعًا، فبينما كانت أبعاد أقدمها 9 أذرع x 5 أذرع، كانت أبعاد أحدثها 14 ذراع x 8 أذرع. أما من حيث القدم فأكدت نتائج تقارير الحفائر أن أقدمها يرجع للقرن الأول الهجري/السابع الميلادي[2]. ويؤكد هذا على تزايد انتشار الإسلام في الأرخبيل.

ولا يتوقف الأمر عند انتشار تلك المساجد، بل في ظهور التأثيرات العربية في عمارتها، وزخرفتها، وملحقاتها؛ حيث ضمت بعض المساجد مدارس، لتعليم مبادئ القراءة والكتابة[3]. ويرى الباحث أن هذه الأمور كلها اختص بها المسجد، فلا حاجة لبناء منفصل عن المسجد، ويؤيد هذا ما ذهب إليه هورتون من أن تلك المباني كانت

لتلافي غرق السفن وزيادة رواج الحركة التجارية. والثاني، أن السكان استخدموا الناتج عن عمليات التطهير هذه في الحركة المعمارية الناهضة في جزر الأرخبيل.

(1) عبد الرحمن زكي، مرجع سابق، ص46.

(2) Horton, M., Primitive Islam and architecture in East Africa, p. 105, 110.

(3) Ghaidan, U., Swahili art of Lamu, p. 55, 89.

وظيفتها عقد الاحتفالات والمناسبات ذات الصبغة الدينية[1]. وهذا يعني أن هذه الملحقات أدخلت بعد فترة زمنية طويلة ضمن المساجد.

وفي صدد التأثيرات العربية الإسلامية في عمارة المساجد وجد إن مسجد شانجا الحجري الذي يرجع تاريخه للقرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد يشبه بعض المساجد الصغيرة في سيراف وسامراء[2]، وذلك من وجود مجموعة من درجات السلالم في الجانب الشرقي يرجح أنها كانت لمئذنة. وكذلك التقيسم الثلاثي للمسجد(رواق القبلة، والصحن، والرواق الموازي لرواق القبلة)، وفسر هورتون وجود الرواق الموازي على أنه كان مخصص كمكان للوضوء[3]. ولا يتفق الباحث مع هذا الرأى، ويرى أن وضعية هذه الرواق تشير إلى استخدامه أيضًا كمكان للصلاة في ظل اتساع انتشار الإسلام، وما تبع ذلك من كثرة المصلين أو أنه خُصص كمكان للصلاة بالنسبة للنساء. يؤكد ذلك أن البئر الذي كان يستخدم للوضوء يقع في الزاوية الشمالية الغربية للمسجد.

وفضلاً عن التأثيرات الوافدة من منطقة الخليج العربي وجدت تأثيرات يمنية، تمثلت في استخدام المرجان في عمليات بناء المساجد[4]، وهي طريقة كانت شائعة في بلدان البحر الأحمر. ويمثل المسجد الحجري في شانجا نموذجًا لمجموعة من المساجد

(1) Horton, M., Primitive Islam and architecture in East Africa, p. 110.

(2) ومما يؤكد هذا التشابه، ووصول تأثيرات الخليج العربي العربية والفارسية إلى جزر الأرخبيل، أن علاقات تجارية كبيرة ربطت بين المنطقتين، كانت دلائلها انتشار خزف سامراء المزجج باللون الأبيض البراق، وكذلك انتشار الفخار الساساني. راجع:

- Northedge, A., Reviewed work (s): Manda: Excavations at an Island Port on the Kenya Coast by Neville Chittick, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 51, No. 1 (1988), pp. 136-137 .

(3) Horton, M., Primitive Islam and architecture in East Africa, pp. 112-113.

(4) ولكنَّ استخدام المرجان في أعمال البناء لم يقتصر على المساجد فحسب، فقد استخدم في بناء جدران المواني‌ء بغرض توسعتها كما أسلفنا، واستخدم كذلك في بناء المنازل وغيرها من المنشآت. وتمثل منطقة تكوا نموذجًا فريدًا في البناء بالمرجان؛ إذ عُثر فيها على نحو مائة وتسعة وأربعين بناءً استخدم المرجان في تشييدها بكثافة. انظر.

- Wilson, T. H., Spatial analysis and settlement patterns on the East African coast, p. 203.

انتشرت في مختلف أرجاء الساحل الشرقي لأفريقيا يرجع تاريخها للقرن الخامس وأوائل القرن السادس للهجرة/ الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر للميلاد[1].

وعلاوة على المنازل والمساجد عبَّرت أيضًا العمارة الجنائزية ممثلة في المقابر عن مدي التأثيرات الوافدة ولا سيما العربية إلى المنطقة[2]، ففي شانجا بجزيرة لامو عُثر على آثار لمقابر أكد الأثاريون أن طريقة الدفن، ووضع رأس المتوفي اتجاه الشمال تجاه مكة يشير إلى أنها مقابر تخص جماعة من المسلمين سكنوا المدينة في فترة مبكرة من ظهور الإسلام[3].

وتشير تقارير الحفائر الآثارية في هذا الصدد إلى أن وجود نمطين من المقابر شاع استخدامهما، أولهما المقابر ذات السقف الحجري المدرج، وثانيهما المقابر ذات السقف الهرمي أو المقبب[4]. واختلاف الطرز المعمارية الجنائزية على هذا النحو يبين تعدد التأثيرات الخارجية التي تعرضت لها جزر أرخبيل لامو منذ وقت مبكر. ورغم قدم الاتصالات الخارجية للساحل الشرقي لأفريقيا، إلا أن تاريخ أقدم التأثيرات الوافدة على الساحل ترجع بناء على تقارير الحفائر الآثارية للقرنين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد[5].

ويرى الباحث أن هذه فترة زمنية مناسبة لظهور المؤثرات الخارجية في عمارة أرخبيل لامو، إذ أن هذا التحول لا يمكن أن يظهر على هذا النحو في فترة زمنية أقل من قرن على أقصى تقدير.

ويتضح بعد هذا العرض لتاريخ وحضارة أرخبيل لامو مدي الرقي والازدهار الذي حظي بها الأرخبيل خلال القرون الستة الأولى من الهجرة، والتي يمكن أن نطلق عليها مرحلة التأسيس؛ إذ كان الأرخبيل مركزًا لسلطنة بات الإسلامية كواحدة من أهم السلطنات الإسلامية التي قامت وازدهرت منذ مطلع القرن السابع للهجرة/الثالث عشر

(1) Horton, M., Primitive Islam and architecture in East Africa, p. 114
(2) Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast, p. 201.
(3) Horton, M., Primitive Islam and architecture in East Africa, p. 105.
(4) Wilson, T. H& Omar, A. L., Op., Cit., p. 543.
(5) Ibid, p. 546.

للميلاد، واستمرت حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر للميلاد. وقد حافظت على هذا الأرث الحضاري لساحل أفريقيا الشرقي حتى قِدم البرتغاليون إلى المنطقة، إذ بدأت الملامح الحضارية للساحل تتراجع تحت وطأة المحتل الأوروبي الذي سعى بكل الوسائل للنيل من الإسلام وحضارته في أفريقيا ككل وفي شرق أفريقيا بوجه خاص.

- **خاتمة.**

وبعد دراسة الموضوع على النحو السالف توصل الباحث إلى عدد من الاستنتاجات. فأكد أن المصادر الإسلامية، ولا سيما الجغرافية منها رغم سبقها في الاهتمام بأفريقيا إلا أن أرخبيل لامو لم يحظ بإهتمام كبير في تلك المصادر، كما اتسمت المعلومات القليلة عنه بالعمومية، كما قصرت المصادر المادية عن إمداد الدراسة بالمعلومات الكافية لكل جوانب البحث، وظهر ذلك جليًا عند محاولة استقراء نظام الحكم السائد في جزر لامو خلال الفترة الزمنية للبحث.

كما بيَّن البحث أهمية نتائج تقارير الحفائر الآثارية في إبراز معالم تاريخ أرخبيل لامو، وصلاته التجارية الخارجية وما تلقاه من مؤثرات ثقافية ومعمارية. أظهر البحث كذلك أن أرخبيل لامو كان يمثل نقطة ارتكاز أوليه للجماعات الوافدة للساحل الشرقي لأفريقيا يقيمون فيها قبل الانتقال للإقامة في الساحل ذاته، وأن العرب هم أقدم الشعوب اتصالاً وتأثيرًا في أرخبيل لامو خاصة، وساحل شرق أفريقيا عامة. كما توصل إلى أن الوجود والتأثير العربي لم يمنع من وجود مؤثرات أخري لجماعات وافدة من مختلف جهات المحيط الهندي، من بلاد فارس، والهند، والصين، وغيرها من بلدان الشرق الأقصى.

توصل البحث أيضًا إلى نتائج مهمة على الصعيد الاجتماعي، فالمجتمع تكون من عناصر عدة بخلاف السكان الأصليين، وكان العرب يمثلون أهم تلك العناصر، ثم شاركهم في سكنى جزر الأرخبيل عناصر فارسية، وأخري هندية وصينية. وكان لهذه التعددية أثرها في التدرج الطبقي للمجتمع، وهو ما أكدته الأدلة الآثارية لبقايا منازل السكان. كما أكد البحث على الوضعية الجيدة للعبيد في المجتمع، ولاسيما للنساء اللاتي حظين بفرصٍ أكبر لنيل حريتهن، والعيش في نفس مستوى النساء الحرائر. كما

أظهر انعكس وأثر ذلك أيضًا على ثقافة المجتمع، فكانت الثقافة "السواحلية" في الجزر، وكذلك في الساحل كله نتاجًا لتفاعل مثمر بين الثقافة المحلية، وتلك الثقافات التي حملها المهاجرون عبر المحيط الهندي.

أخيرًا وعلى صعيد الاقتصاد توصل البحث اعتمادًا على الأدلة الآثارية، ولا سيما الفخار إلى اتساع صلات جزر لامو الخارجية في عالم المحيط الهندي. كما بيَّن في ذات الإطار أن التجارة على أهميتها في رسم تاريخ المنطقة عبر الصلات المتبادلة بين أرخبيل لامو والعالم الخارجي لم تكن هي النشاط الوحيد الذي مارسه السكان، فوجد من بين السكان من عمل بالرعي، والزراعة، والصيد، كما مارس بعضهم بعض الحرف والصناعات التي تطلبها الرقي الحضاري للمنطقة. وانعكست ثمرة هذا كله على مظاهر العمران في أرخبيل لامو، وظهر ذلك جليًا فيما عُثر عليه من منشآت سواء المنازل أم للمساجد أم المقابر، والتي اتسمت في مجملها بأنها عربية الطابع إسلامية الهوية.

- **التوصيات**

إن كان لنا من توصية في هذا المجال، فإن المنطقة تحتاج إلى المزيد من الدراسات، ولا سيما التي تركز على المجتمع ككل أو على بعض فئاته بعينها. وذلك في إطار وضع تاريخ عام متكامل عن ساحل شرق أفريقيا وحضارته وارتباطاته على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ملاحق البحث

أولًا– الخرائط

خريطة (1) جهود الحفائر في أرخبيل جزر لامو(جزيرة ماندا)

!Error

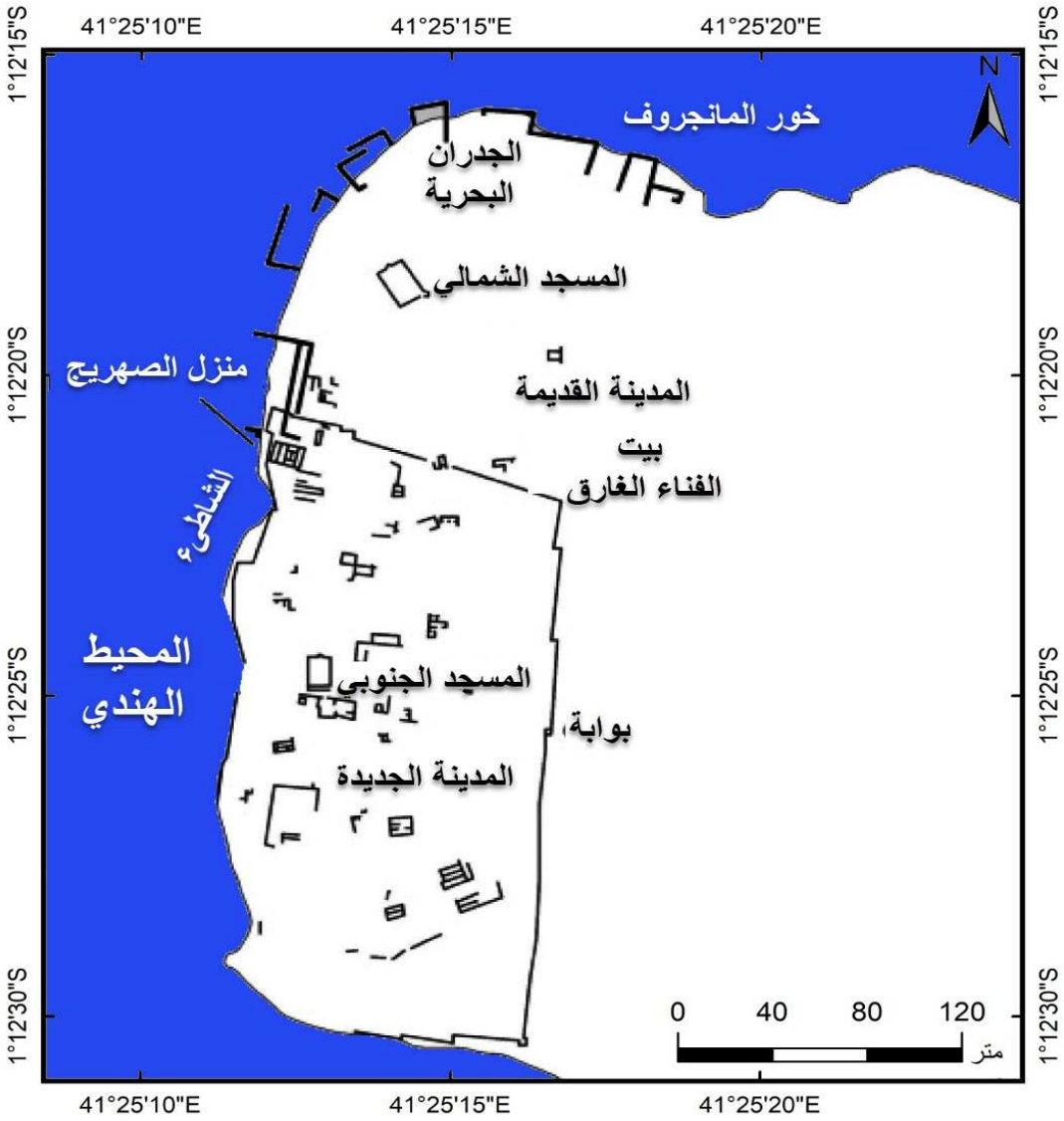

Wynne-Jones, S., & Fleisher, J., Fifty years in the archaeology of the eastern African coast, p. 525.

خريطة(2) توضح موقع أرخبيل جزر لامو بالنسبة للساحل الشرقي لأفريقيا

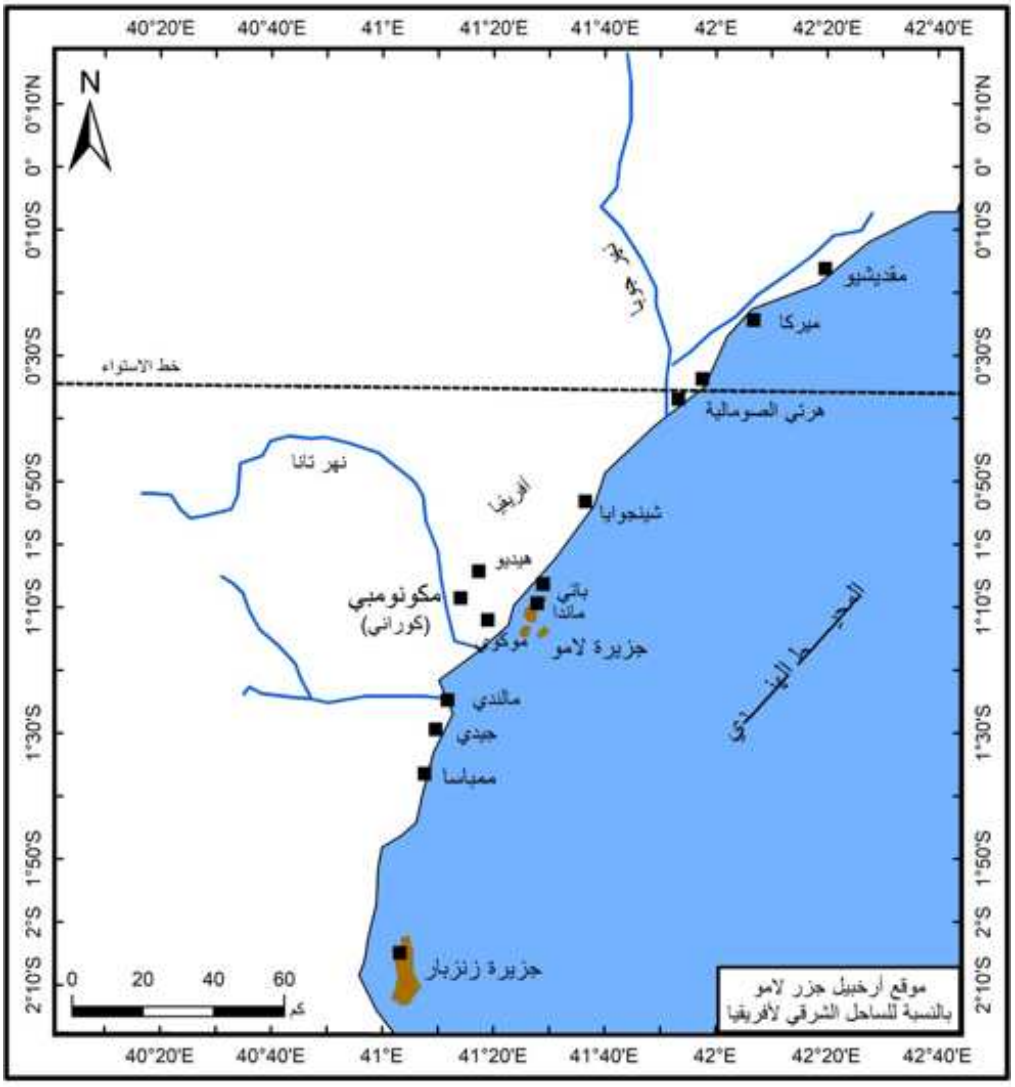

Curtin, P. R, Generations of strangers: the Kore of Lamu, p. 456.

خريطة (3) أهم الجزر التي يتكون منها أرخبيل لامو

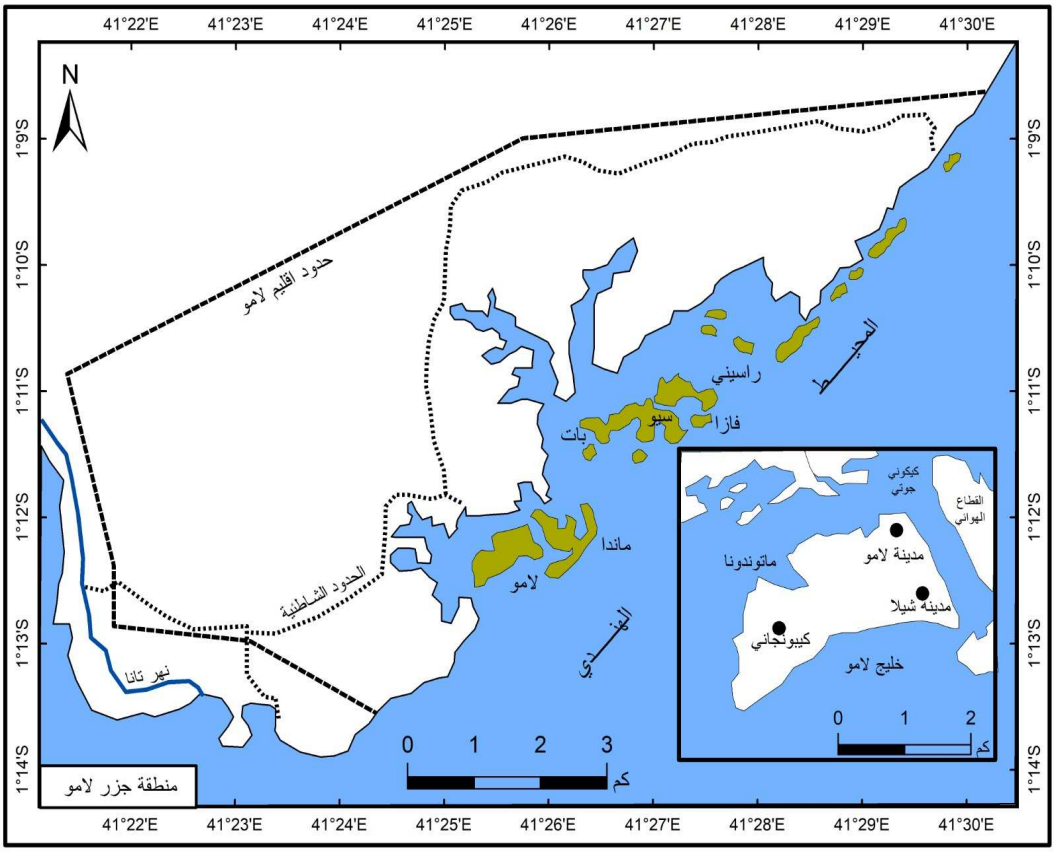

Prins, A. H. JMount Lamu, Mombasa, and the Sea of Zanzibar, p. 86.

ثانيًا– الأشكال

شكل (1) العملات المعدنية التي عُثر عليها في أرخبيل لامو

Freeman-G, Greville S. P., Coinage in East Africa before Portuguese Times, p. 180.

شكل (2) يوضح نماذج للمراكب الشراعية التي كانت تصنع في أرخبيل لامو

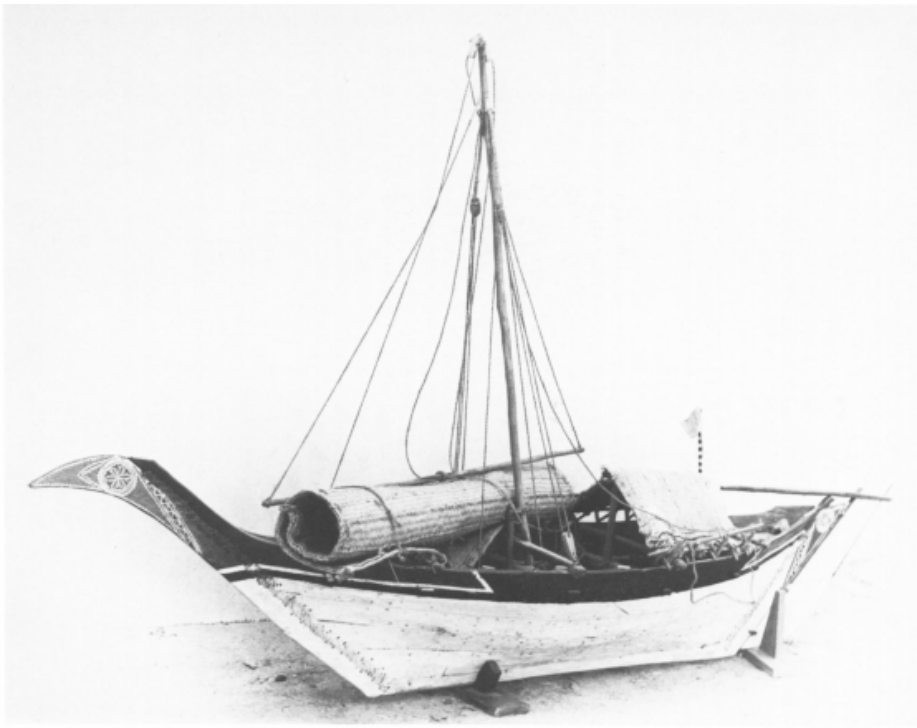

Prins, A. H. J, Mount Lamu, 86-87.

شكل(3) للصناعات المعدنية الدقيقة في أرخبيل لامو

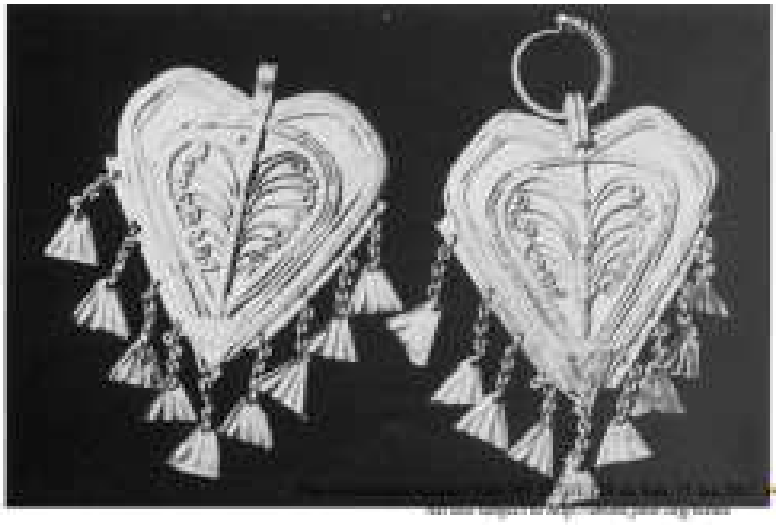

Ghaidan, U., Swahili art of Lamu, p. 57.

شكل (4) لأحد الأمشاط التي شاع انتشارها في أرخبيل لامو وساحل بنادر

Mary Jo A., The Artistic Heritage of Somalia, p. 32.

شكل (5) أنية الهند الخزفية الحمراء

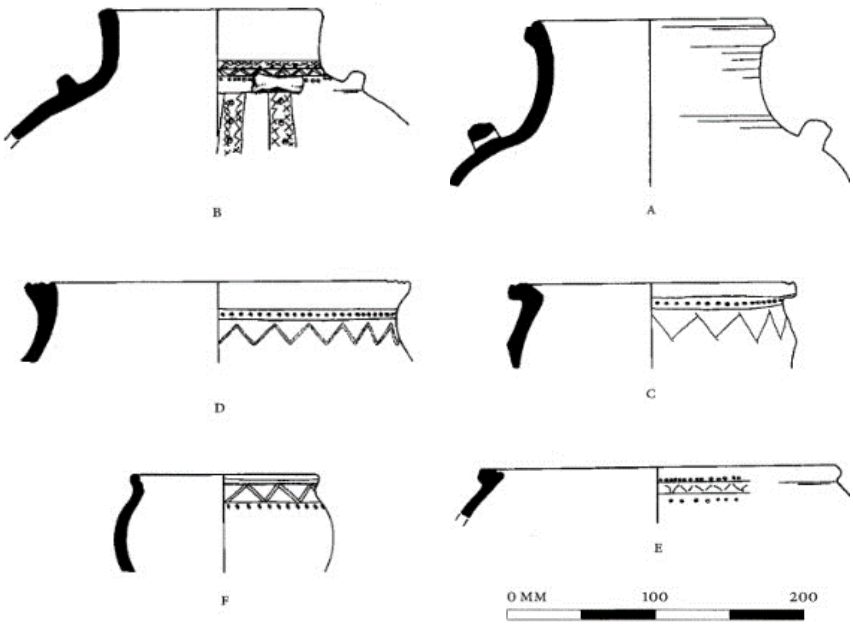

Horton, M, Artisans, communities, and commodities, p. 70.

شكل (6) طبق منتج في الصين يحمل شعار التنين، ونماذج من الخزف الصيني

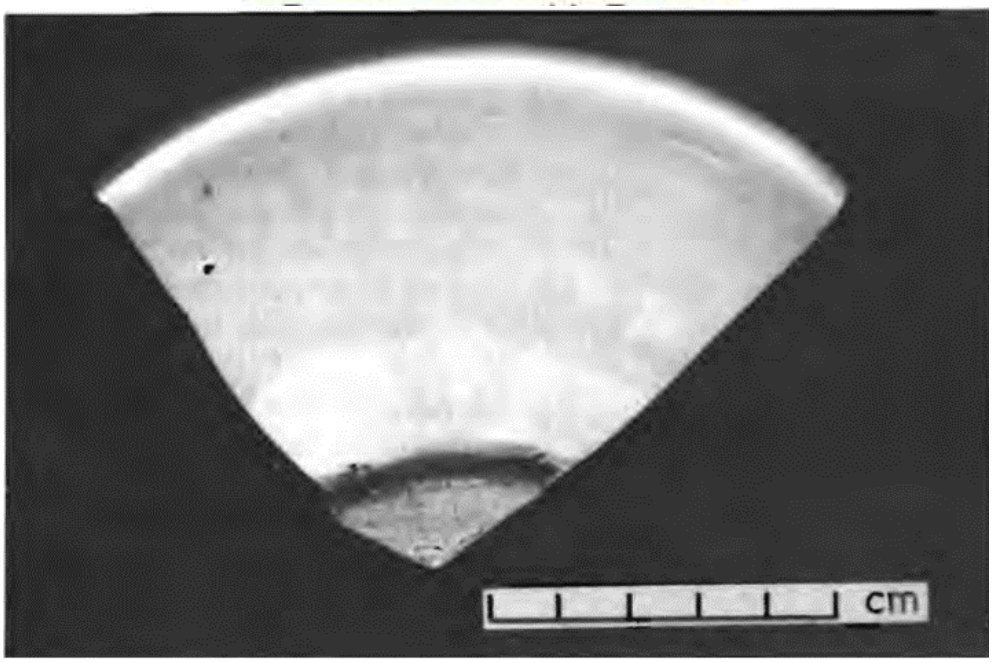

Bita, C., Ancient Afro-Asia links. P. 5; Chittick, N., Manda-Kenya's earliest town, p. 6.

شكل (7) نماذج لمخطوطات القرآن الكريم عُثر عليها في لامو

Ghali, W., The Making of a Qurʾān Manuscript in Lamu Archipelago, p. 46, 48.

شكل (8) نماذج للزخارف التي استخدمت في الأبواب والشرفات في أرخبيل جزر لامو يظهر عليها الأثر الإسلامي

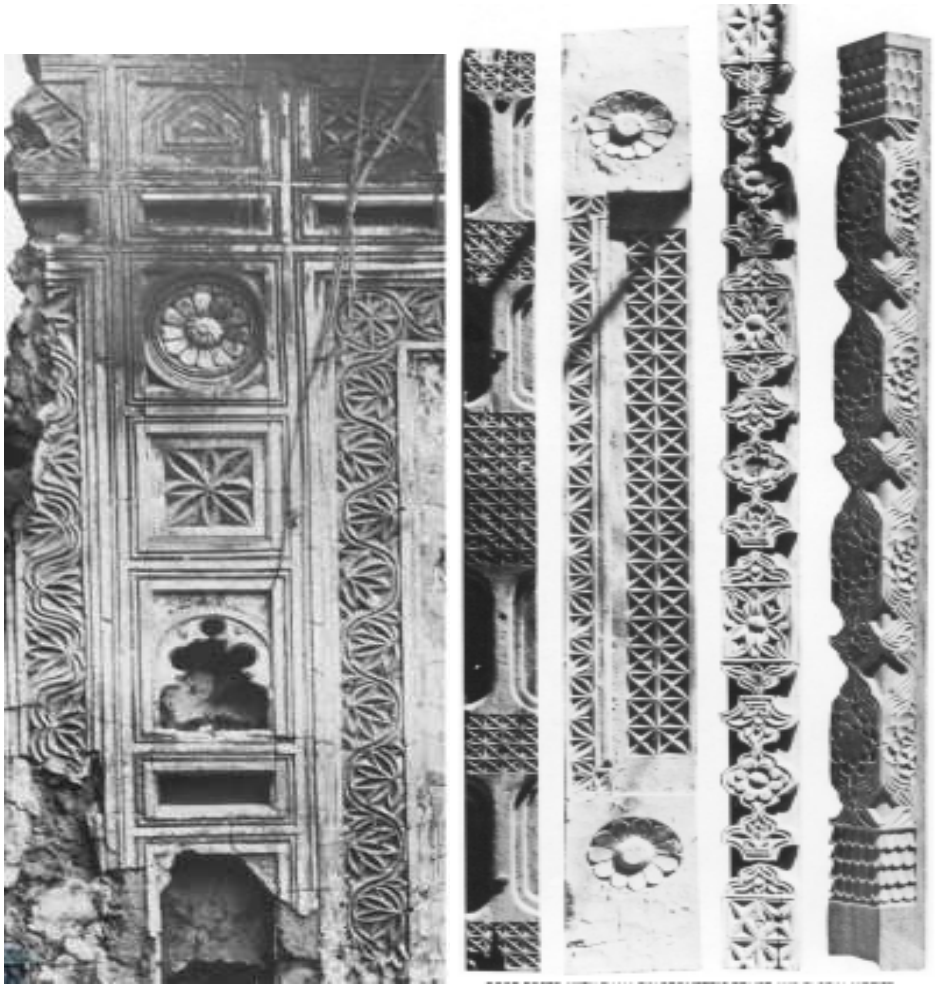

Ghaidan, U., Swahili art of Lamu, pp. 54-56.

شكل (9) تخطيط لمنزل ماندا، والصورة للصهريج أسفل الفناء المركزي للمنزل

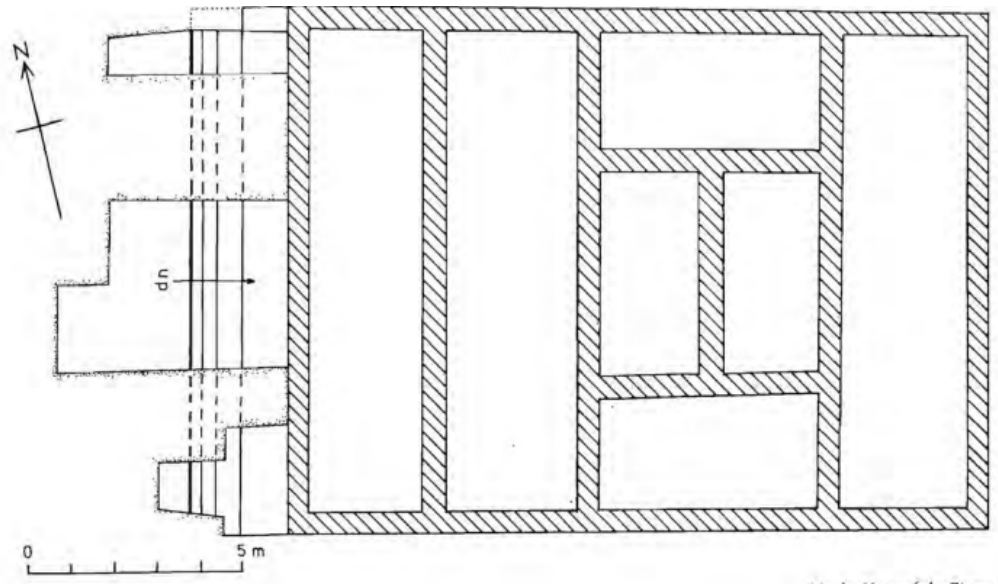

Chittick, N., Manda-Kenya's earliest town, p. 7.

- **قائمة المصادر والمراجع**

- المصادر العربية

- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992.
- بُزُرك بن شهريار الرام هرمزي(ت بعد 340هـ/956)، عجائب الهند بره وبحره وجزائره، مطبعة السعادة، القاهرة، 1908.
- ابن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى ت779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997.
- البيروني(أبو الريحان محمد بن أحمد ت440هـ/1048م)، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة، حيدر أباد، الهند، 1958.
- البكري(أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت483هـ/1090م)، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار صادر، بيروت، 2003.
- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945.
- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن على بن محمد بن على ت 597هـ/1200م)، صفة الصفوة، تحقيق خالد طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012.
- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الرومى البغدادى ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017.
- الحميرى (محمد بن عبد المنعم الصنهاجى ت727هـ/1370م)، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
- أبن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادى ت367هـ/978م)، المسالك والممالك، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992.
- ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسى المغربي ت685هـ/1286م)، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958.

- القزويني(زكريا بن محمد بن محمود ت 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- المسعودي(أبو الحسن على بن الحسين بن على الشافعى ت346هـ/957م)، المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان الغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.
- --------، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005.
- ناصر خسرو (أبو معين الدين علوي ت481هـ/1088م)، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1993.

- المراجع العربية والمعربة

- جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.
- جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية، ترجمة يوسف كمال، د.ن، القاهرة، 1927.
- حسن صالح شهاب، عجائب الهند لبُزُرك بن شهريار بين الحقيقة والأسطورة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، 2010.
- ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كمال يوسف حسين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 1999
- شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية(41-904هـ/661-1498م)، سلسلة عالم المعرفة(151)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990.
- فرنان برودل، الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر، ترجمة مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013.
- كوستا د. بى، دراسة تمهيدية للاستقرار الحضاري القديم في عُمان، حصاد ندوة الدراسات العُمانية، المجلد الخامس، وزارة التراث القومى والثقافة، عُمان، 1980م.

- كراتشكو قيسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة، صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1961.
- كيركمان، الوجود المبكر لعُمان الإسلامية في شرق أفريقيا، ندوة الدراسات العُمانية، المجلد الخامس، وزارة التراث القومى والثقافة، عُمان، 1980م.
- ماركوبولو، رحلات مركوبولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995.
- مجهول(عاش مؤلفه في عهد السلطان برغش بن سعيد 1870–1888م)، السلوة في أخبار كلوة، تحقيق محمد على الصليبي، وزارة التراث االقومي والثقافة، عُمان، 1985.
- أبو المعالي أطهر المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، دار الأنصار، القاهرة، 1398هـ.
- يوسف الشاروني، أخبار الصين والهند لسليمان التاجر وأبي زيد حسن السيرافي القرنن 3هـ/9م، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.

- الدوريات العربية

- حسين سيد عبد الله مراد، تاريخ دهلك وحضارتها في القرون الستة الأولى من الهجرة من خلال شواهد القبور، مجلة دراسات أفريقية، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة، عدد خاص،(د.ت)، ص1–68.
- عبد الرحمن زكي، الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، 1974، ص37–66.
- محمد جاب الله على، دور السودان في مجتمعي مصر والحجاز في العصر المملوكي(647–923هـ/1250–1517)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بني سويف، المجلد العاشر، 2021.
- محمد قرقش، القيمة الحضارية للتراث المادي العُماني في شرق أفريقيا، مجلة تواصل، ع. 1، عُمان، 2005، ص 76–83.
- محمد محمود أحمد، علاقة الجزيرة العربية بشرق أفريقيا، مجلة الدارة، الرياض، 1976، مج2. ع2، ص 110–135.

- يوسف فضل حسن، بعض مظاهر التواصل الإفريقي، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 2006، ع35، ص 9-41.

- الرسائل الجامعية العربية

- حياة سيد أحمد عبد الرحيم، مملكة كلوة الإسلامية ودورها السياسي والاجتماعي في شرقي أفريقيا 365-921هـ/975-1515م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، 2011.

- عبد الرحمن حسن محمود، أثر العرب والفرس المسلمين في الحياة السياسية والثقافية والدينية في الساحل الشرقي من القارة الأفريقية خلال القرون الوسطى، رسالة ماجستير، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2002.

- تقارير الحفائر الآثارية

- Bita, Caesar. "Maritime and underwater archaeological explorations in Kenya: Recent discoveries." (2020).
- Chittick, N., Manda-Kenya's earliest town." Kenya Past and Present 16.1, 1984, Pp. 4-8.
- Horton, M., Asiatic colonization of the East African coast: the Manda evidence. Journal of the Royal Asiatic Society, Vol.118. No.2, 1986, Pp. 201-213.
- ----------, Primitive Islam and architecture in East Africa, Muqarnas, Vol. 8, 1991, Pp. 103-116.
- Wilson, T. H., Spatial analysis and settlement patterns on the East African coast. Paideuma, Vol. 28, 1982, Pp. 201-219.
- Wilson, T. H., & Omar, A. L., Excavation at Pate on the East African coast. Aspects of African Archaeology, 1996, Pp. 543-554.

- المراجع الأجنبية

- Assibi A. A., The Role of Islam in the political and Social perceptions of the Waswahili of Lamu, In Larsen, K(ed)., Knowledge, renewal and religion: Repositioning and changing ideological and material circumstances among the Swahili on the East African coast. Nordiska Afrikainstitutet, 2009.

- Dames, M., L., ed. The Book of Duarte Barbosa, An Account of the Countries Bordering on the Indian Ocean and Their Inhabitants, printed for the Hakluyt Society, Vol. 1, London, 1918.
- David R., Muslim societies in African history, Cambridge University Press, 2004.
- Ghali, W., The Making of a Qurʾān Manuscript in Lamu Archipelago: The Indian Ocean Cross-cultural Influence, In Pradines, S, and Farouk T(ed). Muslim Cultures of the Indian Ocean: Diversity and Pluralism, Past and Present. Edinburgh University Press, 2023
- Ingrams, W.H., Zanzibar It's history and It's people, Frankas and Co. LTD, 1967.

– الدوريات الأجنبية

- Allen, J., The" Shirazi" problem in East African coastal history, Mitteilungen zur Kulturkunde, Bd. 28, FROM ZINJ TO ZANZIBAR: *Studies in History, Trade and Society on the Eastern Coast of Africa*., 1982, Pp. 9-27.
- Bita, C., Ancient Afro-Asia links. Evidence from a maritime perspective., *Journal of Indian Ocean Archaeology*, Vol. 9, 2013. Pp. 1-10.
- ----------, Historical period stone anchors from Mombasa, Kenya: Evidence of overseas maritime trade contacts with Asia and Middle East." *International Journal of Environment and Geoinformatics,* No.2, Vol.3, 2015, Pp. 15-26.
- ----------, The Ngomeni Shipwreck: Its Discovery and What it Tells us About 16th Century Transoceanic Trade." *Kenya Past and Present*, Vol. 45, 2018, Pp. 33-44.
- ----------, The Role of the National Museum in MUCH Management and Regional Capacity Building: Current Research in Kenya. *Maritime and Underwater Cultural Heritage Management on the Historic and Arabian Trade Routes,* 2020. Pp. 99-116.
-Boivin, N., Crowther, A., Helm, R., & Fuller, D. Q., East Africa and Madagascar in the Indian ocean world. *Journal of World Prehistory*, Vol. 26, 2013, Pp. 213-281.
- Breen, C, and Paul L., Archaeological approaches to East Africa's changing seascapes, *World Archaeology,* No.35, Vol.3, 2004, Pp. 469-489.

- Chen, Z, Toward a Global Network Revolution: Zheng He's Maritime Voyages and Tribute-Trade Relations between China and the Indian Ocean World, *China and Asia,* No.1. Vol.1, 2019, Pp. 3-49.
- Chittick, N., A new look at the history of Pate, The Journal of African History, Vol. 10, No. 3, 1969, Pp. 375-391.
- ----------, East Africa and the Orient: ports and trade before the arrival of the Portuguese, *in historical relations across the Indian Ocean*, Report and papers of the meeting of experts organized by Unesco at Port Louis, Mauritius, from 15 to 19 July 1974. Pp. 13-22.
- ----------, Indian relations with East Africa before the arrival of the Portuguese1, *Journal of the Royal Asiatic Society*, Vol.112. No. 2, 1980, Pp. 117-127.
- Curtin, P. R., Generations of strangers: the Kore of Lamu." *The International Journal of African Historical Studies*18.3, 1985, Pp. 455-472.
- Donley, L. W., Life in the Swahili town house reveals the symbolic meaning of spaces and artefact assemblages, *African Archaeological Review,* No.5. Vol.1, 1987. Pp. 181-192.
- Fleisher, J., & LaViolette, A. (2013). The early Swahili trade village of Tumbe, Pemba Island, Tanzania, AD 600–950. *Antiquity,* Voll. 87. No.338, 2013, Pp. 1151-1168.
- Freeman-G, Greville S. P., Coinage in East Africa before Portuguese Times, *The Numismatic Chronicle and Journal of the Royal Numismatic Society,* Vol.17, 1957, Pp. 151-179.
- Ghaidan, U, Swahili art of Lamu, *African Arts,* Vol.5. No.1, 1971, Pp. 54-57.
- ----------, Lamu: A Case Study of the Swahili Town, *The Town Planning Review,* Vol.45. No1, 1974. Pp. 84-90.
-Guennec-C. L, and Sophie M., Les Swahili: une singularité anthropologique en Afrique de l'Est, *Journal des africanistes,* 72.2, 2002, Pp. 55-70.
- Hecht, E. D., Harar and Lamu—A Comparison of Two East African Muslim Societies. *TransAfrican Journal of History*, Vol.16, 1987, Pp.1-23.
- Horton, M, Artisans, communities, and commodities: Medieval exchanges between northwestern India and East Africa, *Ars orientalis*, Vol. 34, 2006, Pp. 62-80.

- Ichumbaki, E. B., & Pollard, E., Potsherds coated with lime mortar along the East African coast: their origin and significance. *African Archaeological Review*, Vol.*32*, 2015, Pp. 443-463.
- Idha, M., The mangroves of Lamu, history socio-economic and conservation issues Conference, East Africa Wildlife Society, 1998, Pp. 1-15.-
- Lane, P. J., Maritime and shipwreck archaeology in the western Indian Ocean and southern Red Sea: An overview of past and current research, *Journal of Maritime Archaeology,* Vol. 7, 2012, Pp. 9-41.
- Le Guennec-Coppens, F., Social and cultural integration: a case study of the East African Hadramis. *Journal of the International African Institute*, Vol.59, No.2, 1989, Pp. 185-195.
- Martin, B. G., Islam in Lamu-The Sacred Meadows: A Structural Analysis of Religious Symbolism in an East African Town. By Abdul Hamid M. el-Zein. Evanston: Northwestern University Press, 1974. The Journal of African History Vol.17, No.3, 1976. Pp. 452-454.
- Nooteboom, C., Reviewed Work(s): Sailing from Lamu by A. H. J. PRINS, Bijdragen tot de Taal-, Land- en Volkenkunde, Deel 125, 1ste Afl, 1969, Pp. 183-192.-
- Northedge, A., Reviewed work (s): Manda: Excavations at an Island Port on the Kenya Coast by Neville Chittick, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 51, No. 1 (1988), Pp. 136-137.
- Olali, T., Alawiyya Sufism and the Sufi: Diffusion and Counter-Diffusion of Swahili Islamic Mysticism in the Lamu Archipelago, Kenya. *International Journal of Humanities, Social Sciences and Education*, Vol.1. No.12, 2014, Pp. 1-11.
- Pouwels, R. L., Oral historiography and the Shirazi of the East African coast." History in Africa, Vol. 11, 1984, Pp. 237-267.
- Prins, A. H. J "Mount Lamu, Mombasa, and the Sea of Zanzibar." Studies in History, Commerce, and Society on the East Coast of Africa,1982. Pp. 85–100.
- Robertshaw, P., Archaeology in Eastern Africa: Recent Developments and More Dates, The Journal of African History, Vol. 25, No. 4, 1984, pp. 369-393.

- Shen, J., New thoughts on the use of Chinese documents in the reconstruction of early Swahili history." History in Africa, Vol. 22, 1995, Pp. 349-358.
- Storozum, M. J., & Yuqi Li., Chinese archaeology goes abroad." Archaeologies, Journal of the World Archaeological Congress, Vol. 16. No. 2, 2020, Pp. 282-309.
- Wynne-Jones, S., & Fleisher, J., Fifty years in the archaeology of the eastern African coast: a methodological history. Azania: Archaeological Research in Africa, Vol. 50. No.4, 2015, Pp. 519-541.
- Ylvisaker, M., The ivory trade in the Lamu area, 1600–1870, Paideuma: Mitteilungen zur Kulturkunde, Bd. 28, FROM ZINJ TO ZANZIBAR:, 1982, Pp. 221-231.

-杨斌《从印度洋归来——泉州湾宋代航路新考》。

《海事历史研究杂志》，第 83 期，第 1 期，2021 年，第 12-30 页。

- 页。司徒尚纪, and 许桂灵. "中国海上丝绸之路的历史演变." 热带地理 35.5 2015. 年，第 629-636页。

– الرسائل الجامعية الأجنبية

- Mwaniki, S., Mashairi: a surviving art of the Swahili Muslim peoples of Lamu Town, Kenya (Master's thesis, Faculty of Humanities), University of Cape Town, 2021
- Pawlowicz, M. C., Finding their place in the Swahili world: An archaeological exploration of southern Tanzania (Doctoral dissertation, University of Virginia), 2011.
- Poblete, M. A. H., This is traditional, this is not Islamic": Perceiving some Swahili childbirth and child-rearing beliefs and practices in light of mila (custom) and dini (religion). Southern Illinois University at Carbondale, 2007